قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ
سلسلة إصدارات المناسبات السنوية

صلح الإمام الحسن عليه السلام

مشروع السماء لإصلاح الأمة

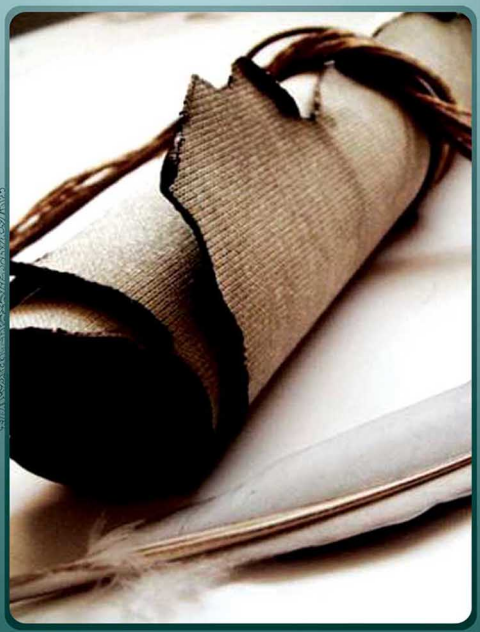

صلح

الإمام الحسن [عليه السلام]

مشروع السماء لإصلاح الأمة

شعبة التبليغ
قسم الشؤون الدينية

أسم الكتاب : صلح الإمام الحسن(عليه السلام): مشروع السماء لإصلاح الأمة.

إعداد : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر : العتبة العلوية المقدسة

المراجعة : شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة : الأولى

سنة الطبع : ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م

قياس : ١٢ × ١٧

عدد الصفحات : ٩٦

عدد النسخ : ١٥٠٠٠

الموقع الإلكتروني : www.imamali.net

البريد الإلكتروني : tableegh@imamali.net

موبايل : ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

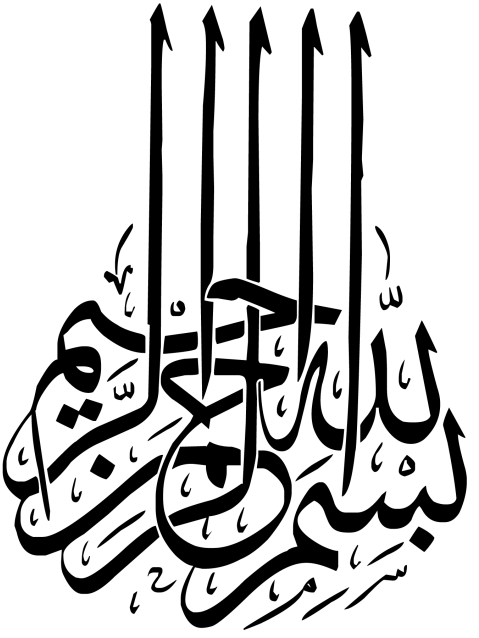
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تعد قضية صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية كباقي تفاصيل حياته الشريفة صورة مشوهة من صور التأريخ، وما أكثر هذه الصور المطموسة المعالم المنسية الحقائق المقصودة – على الأكثر– بالإهمال أو بالتشويه، إذ أن المصادر التاريخية تصوّر لنا الحسن بن علي (عليهما السلام) – بحسب جملة من المؤرخين الشرقيين والغربيين – هو الخليفة الضعيف في السياسة، المنشغل بالنساء، الذي باع الخلافة لمعاوية بالمال،..... إلى كثير من هذا الهَذَر الظالم الذي لا يستند إلى منطق، ولا يرجع إلى دليل، والغرض منه تشويه صورة أهل البيت (عليهم السلام)، وسلب فضائل الصفات التي تحلّو بها عنهم، وهو تكملة لغرض بني أمية في النَّيل من هذا الدين ورموزه، وسير على نفس الطريق.

لذلك سوف نحاول – قدر الإمكان – في الأوراق القادمة إماطة اللثام عن جملة من الأمور الغامضة التي تكشف حقائق مهمة عن هذا الصلح، وسيتضح لنا أن صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية هو ثورة عاصفة في سِلم لم يكن مِنه بُدّ، أملاه ظرف الإمام (عليه السلام) حيث التبس فيه الحق بالباطل، وقد وَرِث الإمام

الحسن (عليه السلام) هذه الخطة من جده (صلى الله عليه وآله) في (صلح الحديبية) وله فيه أسوة حسنة، إذ أنكر عليه (صلى الله عليه وآله) بعض الخاصّة من أصحابه، كما أنكر على الحسن (عليه السلام) (صلح ساباط) بعض الخاصّة من أوليائه فلم يَهُن بذلك عزمه، ولا ضاق به ذرعه.

ولابد قبل ذلك أن نتحدث – ولو يسيرا – عن سيرة الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)، ثم عن دوافعه للقبول بالصلح، ونحاول أن نستعرض عدداً من القراءات المطروحة من قِبل الباحثين، ونكون منصفين في تمحيصها واختيار القراءة الأكثر نُضجاً، وبُعداً عن الأهواء، ومطابقة مع الواقع، بحسب مُعطياته الواصلة الينا.

شعبة التبليغ

قبس من حياة الإمام الحسن بن علي [عليهما السلام].

وُلِد الإمام الحسن (عليه السلام) يوم الثُلاثاء الخامس عشر من شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة، وقُبِض (عليه السلام) في اليوم السابع من شهر صَفَر سنة خمسين للهجرة، فعمره الشريف (عليه السلام) سَبعٌ وأربعون سنة وأشهر.

كنيته وألقابه:

سَمّاه الله تعالى (الحَسَن)، وكنيته (أبو محمد)، وألقابه: السيد، والسبط الأول، والأمين، والحجة، والبَّر، والتقي، والأثير، والزكي، والمجتبى، والزاهد.

مناقبه [عليه السلام]:

وهي أكثر من أن تُستوفى في هذا المختصر، ونحن نذكر طُرَفا من صفاته ومناقبه، على نحو الإيجاز:

● **أما شَبَهُه (عليه السلام) برسول الله (صلى الله عليه وآله)**، فيكفيه فخراً أنه كان أشبَهَ الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) خَلقا وهَديا وسُؤددا، ففي روايةٍ أن فاطمة (عليها السلام) أتت بابنيها الحسن والحسين (عليهما السلام) إلى رسول

الله (ﷺ) في شكواه التي تُوفي فيها، فقالت: يا رسول الله، هذان ابناك، فورّثهما شيئا، فقال: **أما الحسن فإنَّ له هَديي وسُؤدَدي، وأما الحسين فإن له جُودي وشجاعتي**[1].

ويكفي في جَلالة مقامه (عليه السلام) ما ورد من طُرق العامة بأسناد متعددة، عن النبي (ﷺ):**اللهم إني أُحبُه، فأحببه وأَحِبَّ من يُحبُّه**[2].

وكفاه منزلة أنه حبيب الله، وحبيب رسول الله (ﷺ)، وحبه براءة من النار، وجواز دخول الجنة، وإذا كان مُحبه محبوبا لله تعالى فهو في مقام ومنزلة عند الله دونه كل مقام ومنزلة، لأنه (عليه السلام) بإفنائه نفسه في ذات الله، وإفنائه رضاه في رضوان الله، صار حبه إكسيرا يقلب الحجر إلى الكبريت الأحمر، فيصير محبه محبوبا لله تعالى.

---

[1] الإرشاد: ج٢ ص٧، وقريب منه في الخصال: ص٧٧.

[2] مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٢٤٩ و٣٣١ و٥٠٨ و٥٣٢ وج٤ ص٢٨٤، صحيح البخاري: ج٣ ص٢٠ وج٧ ص٥٥، صحيح مسلم: ج٧ ص١٢٩، سنن ابن ماجة: ج١ ص٥١، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢٧، المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٦٩.

عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله (ﷺ) من الحسن بن علي (عليهما السلام)[1].

●**أما معاملته** (عليه السلام) **مع الله تعالى**، فقد كان (عليه السلام) إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفَرَّ لونه، فقيل له في ذلك، فقال: **حقٌ على كل من وقف بين يدي رب العرش أن يصفَرَّ لونه، وترتعد مفاصله**[2].

وعن محمد بن علي الهادي (عليهما السلام) قال: قال الحسن (عليه السلام): **إني لأستحيي من ربي أن ألقاه، ولم أمش إلى بيته، فمشى على رجليه عشرين مرة [وقيل:خمساً وعشرين] من المدينة، وإن النجائب**[3] **لَتُقاد معه.**[4]

وعن علي بن زيد بن جذعان، قال: خرج الحسن بن علي (عليهما السلام) من ماله مرتين، وقاسم الله ثلاث مرات[5]، حتى إنه كان

---

[1] صحيح الترمذي: ج٥ ص٦٥٩ ح٣٧٧٦، وصحيح البخاري: ج٥ ص٣٣.

[2] مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١٤ في مكارم أخلاقه.

[3] أي: كرائم الإبل.

[4] ذخائر العقبى: ص١٣٧، البداية والنهاية: ج٨ ص٣٩، نظم درر السمطين: ص١٩٦.

[5] ذخائر العقبى: ص١٣٧، البداية والنهاية: ج٨ ص٣٩، نظم درر السمطين:

لَيُعطي نعلا ويُمسك نعلا، ويُعطي خُفا ويُمسك خُفا[1].

وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه، وقال: **إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم**، وكان إذا فرغ من الفجر لم يتكلم، حتى تطلع الشمس.[2]

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: حدثني أبي عن أبيه (عليه السلام): **أنَّ الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) كان أعبَدَ الناس في زمانه، وأزهدَهم وأفضلهم، وكان إذا حج حج ماشيا، وربما مشى حافيا، وكان إذا ذكر الموت بكى، وإذا ذكر القبر بكى، وإذا ذكر البعث والنشور بكى، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى، وإذا ذكر العرض على الله (تعالى ذكره) شهق شهقة يُغشى عليه منها، وإذا قام في صلاته ترتعد فرائصه بين يدي ربه (عز وجل)، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضطراب السليم، وسأل الله تعالى الجنة، وتعوّذ به من النار، وكان (عليه السلام)**

ص١٩٦.

[1] البحار: ج٤٣ ص٣٥٨،٣٥٧.

[2] مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص١٨٠

لا يقرأ من كتاب الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا قال: لبيك اللهم لبيك، ولم يُرَ في شيء من أحواله إلا ذاكرا لله سبحانه، وكان أصدَقَ الناس لهجة وأفصَحَهم منطقا[1].

● **وأما معاملته** (عليه السلام) **مع خَلقه**، فقد كان مارّا في بعض حيطان [بساتين] المدينة، فرأى أسودَ بيده رغيف يأكل ويُطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الإمام الحسن (عليه السلام): **ما حملك على أن شاطرته ولم تُغابِنْه فيه بشيء؟**

فقال: استحت عيناي من عينيه أن أُغابِنَه.

فقال له (عليه السلام): **غُلامُ مَنْ أَنْتَ؟**

فقال: غلام أَبان بن عُثمان.

فقال (عليه السلام): **والحائط؟**

قال: لأبان بن عثمان.

فقال له الحسن (عليه السلام): **أقسمتُ عليك، لا برحت حتى أعود عليك**، فَمَرّ واشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام، فقال (عليه السلام): **يا غلام قد اشتريتك.**

---

[1] الأمالي للصدوق: ص٢٤٤، المجلس الثالث والثلاثون: ح١٠.

فقام قائما، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي. قال (عليه السلام): **وقد اشتريت الحائط، وأنت حُرٌّ لوجه الله، والحائط هِبة مني إليك.**

فقال الغلام: يا مولاي قد وهبتُ الحائط للذي وهبتني له[1].

هذه معاملته مع الضعيف مع قبض يده، فكيف كان الأمر لو كانت يداه مبسوطتان.

● **وأما كرمه** (عليه السلام)، فقد رُوي عن أنس بن مالك قال: حَيَّت جارية للحسن بن علي (عليهما السلام) بطاقة ريحان، فقال لها: **أنت حُرَّة لوجه الله**، فقلتُ له: في ذلك، فقال (عليه السلام): **أدَّبَنا الله تعالى بقوله: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [2] وكان أحسَنَ منها إعتاقُها**[3].

● **وأما تواضعه** (عليه السلام)، فقد رُوي أنَّه مَرَّ الحسنُ بنُ علي (عليهما السلام) على فُقراء قد وضعوا كُسيرات على الأرض وهم قعود

---

[1] تاريخ بغداد: ج٦ ص٣٣ ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) ابن عساكر ص١٤٨، تاريخ مدينة دمشق: ج١٣ ص٢٤٦، البداية والنهاية: ج٨ ص٤.

[2] النساء: ٨٦.

[3] المناقب لابن شهر آشوب: ج٤ ص١٨.

يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هَلُم يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء! فنزل وقال: **إن الله لا يحب المستكبرين**، وجعل يأكل معهم، حتى اكتفوا والزاد على حاله ببركته، ثم دعاهم إلى ضيافته، وأطعمهم وكساهم[1].

● **وأما معاملته** (عليه السلام) **لعدوه**، فقد قال لأخيه الحسين (عليه السلام) عند وفاته: **وإني لَعارف من أين دُهِيت، فأنا أُخاصمه إلى الله تعالى، فَبِحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء**[2].

فهو الذي تخلّق بأخلاق الله، وتجلّت فيه أسماء الله، بغفرانه الذنوب، وستره العيوب، وظهور الرحمة العامة والخاصة من حضرته.

● **وأما فصاحته** (عليه السلام)، فقد أمره أمير المؤمنين (عليه السلام) يوما أن يخطب، فقام قائلاً: **الحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كُلفة، الخالق بغير مَنْصَبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز لم يزل قديما في القِدَم،**

---

[1] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٣.

[2] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٤٢، إعلام الورى: ج١ ص٤١٤، كشف الغمة: ج٢ ص٢٠٨، الإرشاد: ج٢ ص١٧.

رُوِّعت القلوب لهيبته، وذُهلت العقول لعِزته، وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناسُ كُنهَ جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لِكُنْه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكر بتدبير أمورها، أَعلَمُ خلقه به الذي بالحد لا يصفه، يُدرك الأبصار، ولا تُدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير.

أما بعد، فإن عليا بابٌ مَنْ دَخَلَه كان مؤمنا، ومَنْ خَرَجَ منه كان كافرا، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم.

فقام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقَبَّل بين عينيه، ثم قال: **﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾**[1].

فقد جمع (عليه السلام) في هذه الخطبة القصيرة جميع ما يتعلق بالمعارف الإلهية، مما يتعلق بذاته تعالى وصفاته وأفعاله، وقد اشتمل قوله (عليه السلام): (**الحمد لله الواحد بغير تشبيه**) في بدء خطبته على الإثبات والنفي، أي حقيقة التوحيد، وإخراج العقول عن حد التعطيل والتشبيه، وفي قوله (عليه السلام) في ختامها: (**أَعلَمُ**

---

[1] تفسير فرات الكوفي: ص٨٠ ذيل آية ٣٤ سورة آل عمران، الدروع الواقية: ص ١٨٨، ترجمة الإمام الحسن (عليه السلام) لابن عساكر: ص١٤٥.

خلقه به الذي بالحد لا يصفه) إبطال التفكر في ذاته وصفاته، وأن كل وصف إلا ما وصف الله به نفسه ينتهي إلى التحديد، وهو التثنية التي تبطل بواحديته بغير تشبيه، **﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾**[1] ففي كل جملة منها مجمل من مفصل، لا يصل إليه إلا الراسخون في الحكمة الإلهية.

● **وأما فقهه** (عليه السلام)، ومعرفته بالأحكام فقد سأل أعرابي أبا بكر، فقال: إني أصبتُ بيضَ نعام فشويته وأكلته وأنا محرم، فما يجب عليّ؟ فقال له: يا أعرابي أشكَلتَ عَلَيّ في قضيتك، فدلَّه على عمر، فدلَّه عمر على عبد الرحمن، فلما عجزوا قالوا: عليك بالأصلع، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **سَلْ أيَّ الغُلامين شئت،** فقال الحسن (عليه السلام): **يا أعرابي ألك إبِل؟**

قال: نعم.

قال (عليه السلام): **فاعمد إلى عدد ما أكلت من البَيض نُوقا فاضربهن بالفحول، فما فَضُل منها فاهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه.**

---

[1] سورة الأنعام:١٠٠.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **إن من النوق السلوب ومنها ما يزلق؟**

فقال (عليه السلام): **إن يكن من النوق السلوب وما يزلق، فإن من البيض ما يمرق.**

قال: فسُمِع صوت: معاشر الناس، إن الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داود.[1]

وقوله: (إن الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داود) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾[2] وقصتها مذكورة في كتب التفسير.

وفي الموثق عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) يقولان: **بينا الحسن بن علي (عليهما السلام) في مجلس أمير المؤمنين صلوات الله عليه إذ أقبل قوم، فقالوا: يا أبا محمد أردنا أمير المؤمنين.**

---

[1] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٠.

[2] الأنبياء: ٧٨-٧٩.

قال: وما حاجتكم؟

قالوا: أردنا أن نسأله عن مسألة.

قال: وما هي تخبرونا بها.

فقالوا: امرأة جامعها زوجها، فلما قام عنها، قامت بحموتها، فوقعت على جارية بكر فساحقتها، فألقت النطفة فيها، فحملت، فما تقول في هذا؟

فقال الحسن: معضلة وأبو الحسن لها، وأقول: فإن أصبت فمن الله، ثم من أمير المؤمنين، وإن أخطأت فمن نفسي، فأرجو أن لا أخطئ إن شاء الله، يُعمد إلى المرأة، فيؤخذ منها مهر الجارية البكر في أول وهلة، لأن الولد لا يخرج منها حتى يشق فيذهب عذرتها، ثم ترجم المرأة لأنها محصنة، وينظر بالجارية حتى تضع ما في بطنها ويرد إلى أبيه صاحب النطفة، ثم تجلد الجارية الحد.

قال: فانصرف القوم من عند الحسن فلقوا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: ما قلتم لأبي محمد، وما قال لكم، فأخبروه، فقال:

لو أنني المسؤول ما كان عندي فيها أكثر مما قال ابني[1].

● **وأما شجاعته** (عليه السلام)، فإنّه لما أحاط أصحابُ الجمل براية الطغيان على خليفة الرحمن، وعجز عن مقابلتهم الفرسان، دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) محمدَ بن الحنفية فأعطاه رمحه وقال له: **اقصد بهذا الرمح قصد الجمل**، فذهب فمنعه بنو ضبة فلما رجع إلى والده انتزع الحسن (عليه السلام) رمحه من يده، وقصد الجمل، وطعنه برمحه ورجع إلى والده، وعلى الرمح أثر الدم، فتغيّر وجه محمد من ذلك، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): **لا تأنف فإنه ابن النبي وأنت ابن علي**[2].

● **وأما حلمه** (عليه السلام)، فقد شِيْبَتْ شجاعته (عليه السلام) في نفسه القدسية بالحلم، ذلك الحلم الذي روى فيه المبرد وابن عائشة أن شاميا رآه راكبا فجعل يلعنه والحسن (عليه السلام) لا يرد، فلما فرغ أقبل الحسن (عليه السلام) فسلّم عليه وضحِك، فقال: **أيها الشيخ أظنك غريبا ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك،**

---

[1] الكافي: ج٧ ص٢٠٣.

[2] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢١.

وإن كنت جائعا أشبعناك، وإن كنت عريانا كسوناك، وإن كنت محتاجا أغنيناك، وإن كنت طريدا آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك، لأنّ لنا موضعا وجاها عريضا ومالا كثيرا.

فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: أشهد أنك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالته، وكنت وأبوك أبغضَ خلق الله إليّ، والآن أنت أحبُّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه، وكان ضيفَه إلى أن ارتحل وصار معتقدا لمحبتهم[1].

نُقل أن الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام) اغتسل وخرج من داره في حلّة فاخرة، ... ووجهه يشرق حسناً ... فعرض له في طريقه من محاويج اليهود .... فاستوقف الحسن (عليه السلام) وقال: يا بن رسول الله: أنصفني!..

فقال (عليه السلام): **في أي شيء؟..**

فقال: جدك يقول: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة تتنعم بها، وتستلذ بها،

---

[1] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٩.

وما أراها إلا سجنا لي قد أهلكني ضرها، وأتلفني فقرها.

فلما سمع الإمام الحسن (عليه السلام) كلامه ... أوضح لليهودي خطأ ظنه ... وقال:

يا شيخ!.. لو نظرت إلى ما أعد الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرت إلى ما أعد الله لك ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار الجحيم، ونكال العذاب المقيم، لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في جنة واسعة، ونعمة جامعة[1].

ولقد ساد الخلائق في الفضائل، من العلم والحلم والمعرفة والعبادة والفصاحة والسماحة والجود والشجاعة والعفو والرحمة، فهو السيد على الإطلاق كما سماه جده[2]، وأمضاه الله سبحانه

---

[1] كشف الغمة: ص٣٤٧.

[2] فضائل الصحابة: ص٥٨ و٧٦، مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٦٢ و٦٤ و٨٢ وج٥ ص٣٩١ و٣٩٢، سنن ابن ماجة: ج١ ص٤٤، سنن الترمذي: ج٥ ص٣٢١ و٣٢٦، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ص١٦٧ و٣٨١ ومصادر أخرى للعامة.

وقال: ﴿مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1]

كراماته (عليه السلام):

● رُوي أنه (عليه السلام) كان يحضر مجلس رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ابن سبع سنين، فيسمع الوحي فيحفظه، فيأتي أمَه فيُلقي إليها ما حفظه، وكلما دخل عليٌّ (عليه السلام) وجد عندها علماً بالتنزيل، فيسألَها عن ذلك، فقالت: من ولدك الحسن (عليه السلام)، فتخَفَّى يوما في الدار فدخل الحسن وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها، فارتج[2]، فعجبت أمه من ذلك، فقال: **لا تعجبي يا أماه فإن كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني**، فخرج عليٌّ فقبَّله، وفي رواية أنه قال: **يا أماه قَلَّ بياني وكلَّ لساني، لعل سيداً يرعاني**[3].

● ومن كراماته (عليه السلام) ما عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: خرج الحسن بن علي (عليهما السلام) في بعض عُمَرِه، ومعه رجل من ولد الزبير، كان يقول بإمامته، فنزلوا من تلك المناهل تحت نخل يابس قد يبس من العطش، ففرش للحسن (عليه السلام) تحت نخلة،

---

[1] سورة الحشر: ٧.

[2] أي: لم يستطع الكلام.

[3] المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص٦، ٧.

وللزبيري تحت أخرى،

فقال الزبيري: لو كان في هذا النخل رطب لأكلنا منه.

فقال له الحسن (عليه السلام): **وإنك لتشتهي الرطب؟**

فقال الزبيري: نعم.

فرفع يده إلى السماء فدعا بكلام لم أفهمه، فاخضرَّت النخلة، ثم صارت إلى حالها، وأورقت، وحملت رطبا، فقال الجمَّال الذي اكتروا منه: سِحرٌ والله.

فقال له الحسن (عليه السلام): **ويلك ليس بسحر، ولكن دعوة ابن نبي مستجابة**، فصعدوا، وصرموا ما كان في النخلة وكفاهم[1].

والعجب من قوم اعترفوا بأن الحسن والحسين (عليهما السلام) ممن نزلت فيهم آية التطهير، واختارهما النبي (صلى الله عليه وآله) للمباهلة التي هي من أعظم الآيات لإبطال النصرانية، وإحقاق الإسلام، ومن أظهر البينات لإثبات مَن يكون وجيها عند الله بإجابة الدعاء، إذ أنهما اللذان أرادهما الله تعالى من كلمة الجمع في قوله: ﴿ **أَبْنَاءَنَا** ﴾[2] في

---

[1] الكافي: ج١ ص٤٦٢.

[2] سورة آل عمران: ٦١.

آية المباهلة، وأنهما من آل محمد (ﷺ) الذين يُصلّى عليهم في كل الصلوات، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة، وأنهما بضعة من رسول الله (ﷺ)[1]، وأنهما ريحانتاه[2]، وأنهما أحبُّ أهل بيته إليه[3]، وأن الله زيّن الجنة بهما[4]، وأنهما خير الناس جدا وجدة وأبا وأما[5]، وأنهما سبطا هذه الأمة، وأن النبي (ﷺ) ورّثهما سيادته وجوده وشجاعته، وغير ذلك مما جاء في مناقبهما من الفضائل الخَلْقية والخُلُقية والعِلمية والعَملية، مما ملأت كتب التفسير والحديث والرجال والتاريخ، ومع ذلك جَوّزوا استبدال

---

[1] الكافي: ج١ص٤٦٢.

[2] فضائل الصحابة: ص٢٠، صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢١٧ باب مناقب الحسن والحسين.

[3] الجامع الصغير: ج ١ ص٣٧، ذخائر العقبى: ص١٢٢، سنن الترمذي: ج ٥ ص٣٢٣.

[4] مجمع الزوائد: ج٩ ص١٨٤، المعجم الأوسط: ج١ ص١٠٨ وج٧ ص ١٤٨، كنز العمال: ج١٢ ص١٢١، تاريخ بغداد: ج٢ ص٢٣٥، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٣ ص ٢٢٨، أسد الغابة: ج١ ص١٧٨.

[5] مجمع الزوائد: ج٩ ص١٨٤، المعجم الأوسط: ج٦ ص٢٩٨، المعجم الكبير: ج٣ ص٦٧.

الحسن (عليه السلام) بمعاوية، والحسين (عليه السلام) بيزيد، بملاك بيعة الأكثرية الذين لا يعقلون! لقد أخذوا ما استندوا إليه عن معاوية، حيث قال للحسن بن علي (عليهما السلام): أنا خير منك يا حسن.

قال: **وكيف ذلك يا بن هند،**

قال: لأن الناس قد أجمعوا عَلَيّ و لم يُجمعوا عليك.

قال(عليه السلام): **هيهات، هيهات، لَشَرَّ ما علوتَ يا بن آكلة الأكباد، المجتمعون عليك رَجُلان، بين مُطيع ومُكْرَه، فالطائع لك عاص لله، والمُكرَه معذور بكتاب الله، وحاش لله أن أقول: أنا خير منك، فلا خير فيك، ولكن الله بَرَّأني من الرذائل كما بَرَّأك من الفضائل**[1].

فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون من أمة تركت مَن كَرّمهم الله تعالى واختارت الطلقاء والأدعياء بدلاً عنهم.

● ونقل ابن أبي الحديد عن أبي الفرج الأصفهاني[2]: خطب معاوية بالكوفة حين دخلها، والحسن والحسين (عليهما السلام) جالسان تحت المنبر، فذكر عليا (عليه السلام)، فنال منه، ثم نال من الحسن

---

[1] مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٢٢.

[2] مقاتل الطالبين: ص٤٦.

(عليه السلام)، فقام الحسين (عليه السلام) لِيرُدَّ عليه، فأخذه الحسن (عليه السلام) بيده فأجلسه، ثم قام (عليه السلام) فقال: **أيُّها الذاكرُ عليا، أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتي خديجة وجدتك قتيلة، فلعن الله أخْمَلَنا ذِكْرا وأَلْأَمَنا حَسَبا، وشَرَّنا قديما وحديثا، وأَقدَمَنا كُفرا ونِفاقا**، فقالت طوائف من أهل المسجد: آمين. قال الفضل: قال يحيى بن معين وأنا أقول آمين.

بيعة المهاجرين والأنصار للإمام الحسن [عليه السلام]:

أفاقت الأمة بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) على خسارتها التي لا تُعوَّض، ووجدت نفسها تحتضن بحبات قلوبها بقية عترة نبيها (صلى الله عليه وآله) الحسن والحسين (عليهما السلام)، فبادرت إلى بيعة الحسن (عليه السلام) كبيرِ السبطين، والإمامِ بنص جده وأبيه (عليهما السلام).

قال الطبري في تاريخه[1]: ذِكرُ بيعة الحسن بن علي: وفي هذه السنة أعني سنة أربعين بويع للحسن بن علي بالخلافة، وقيل إن أول مَن بايعه قيس بن سعد قال له: أبسط يدك أبايعك على

---

[1] تاريخ الطبري: ج٤ ص١٢١.

كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المُحلِّين فقال له الحسن: **على كتاب الله وسنة نبيه فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط**، فبايعه وسكت، وبايعه الناس.

وقال اليعقوبي[1]: واجتمع الناس فبايعوا الحسن بن علي، وخرج الحسن بن علي إلى المسجد الجامع فخطب خطبة له طويلة، ودعا بعبد الرحمن بن ملجم فقال عبد الرحمن: ما الذي أمرك به أبوك؟ قال: **أمرني ألا أقتل غير قاتله وأن أُشبِع بطنَك وأنعم وطاءك، فإن عاش اقتص أو عفى، وإن مات أُلحِقنّك به.** فقال ابن ملجم: إن كان أبوك ليقول الحق ويقضي به في حال الغضب والرضى، فضربه الحسن بالسيف فاتقاه بيده فندرت، وقتله.

وفي مقاتل الطالبيين[2]: خطب الحسن بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: **قد قُبِضَ في هذه الليلة رجل لم يَسبقه الأولون ولا يُدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجهه برايته فيكنفه جبرائيل عن يمينه**

---

[1] تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٢١٤.

[2] مقاتل الطالبيين: ج٢ ص٣.

وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد تُوفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم والتي تُوفي فيها يوشع بن نون، وما خلَّف صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله. ثم خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه، ثم قال: **أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد رسول الله (ﷺ)، أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه والسراج المنير، أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، والذين افترض الله مودتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت.**

فلما انتهى إلى هذا الموضع من الخطبة قام عبد الله بن العباس بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا وقالوا: ما أحبَّه إلينا وأحقَّه بالخلافة! فبايعوه، ثم نزل من المنبر[1].

والمقطع المتقدم فقرة من أول خطبة خطبها الإمام الحسن

---

[1] شرح النهج: ج١٦، ص٣٠، ونهج السعادة : ج٨ ص٥٠٧.

(عليه السلام) بعد شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد نصَّ المحدثون والمؤرخون كما في اليعقوبي على أنها طويلة، لكن الرواة لم ينقلوا منها إلا قليلاً، كعادتهم في أكثر الخطب والأحاديث الصريحة التي تبين مقام أهل البيت (عليهم السلام) وظلامتهم! حيث كانوا وما زالوا يخافون غضب بني أمية وأتباعهم إن رَوَوها!

وتدل الفقرات التي وصلت إلينا على أن الإمام الحسن (عليه السلام) بيَّن في خطبته مكانة أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام)، وكشف جانباً من مؤامرة قبائل قريش عليهم، وحذَّر من الفتنة الأموية على الإسلام، ودعا المسلمين مجدداً إلى جهادهم، مؤكداً خط أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وجهوده لإعادة العهد النبوي.

ويظهر أن شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وخطبة الإمام الحسن (عليه السلام) كان لهما تأثير عميق على المسلمين وأن بيعتهم له كانت بالإجماع.

مشروع الإمام الحسن (عليه السلام) في خلافته.

الإمام الحسن (عليه السلام) على بصيرة من ربه، كان يرى أن الأمة آخذة في الانهيار بين يدي أبيه (عليهما السلام) وقد ظهرت بوادر

استسلامها لموجة بني أمية! لكنه أراد أن يستغل مدة خلافته القصيرة، وبالأحرى ما تبقي لخلافة أبيه (عليه السلام)، لتحقيق هدفين:

الأول: تركيز مشروع أبيه لإعادة العهد النبوي بكل ما يمكنه من قول وفعل.

والثاني: تقليل خسائر الانهيار وخسائر الصلح المفروض عليه إلى أقل حد ممكن، وضمان ما يمكن ضمانه من مصلحة الإسلام والأمة، مع علمه أن معاوية لا يفي لأحد بعهد ولا ذمة! فقد أنزل الله فيه وفي أسلافه: **﴿لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُعْتَدُونَ﴾**[1].

معاهدة الصُّلح.

روى فريق من المؤرخين، فيهم الطبري وابن الأثير: أن معاوية أرسل إلى الحسن (عليه السلام) صحيفة بيضاء مختوماً على أسفلها بختمه، وكتب إليه: أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمتُ أسفلَها ما شئت، فهو لَكَ[2]. ثم بتروا الحديث، فلم يذكروا بعد

---

[1] التوبة: ١٠.

[2] تاريخ الطبري: ج٦ ص٩٣. وابن الأثير ج ٣ ص١٦٢.

ذلك، ماذا كتب الحسن(عليه السلام) على صحيفة معاوية، وتتبعنا المصادر التي يُسِّر لنا الوقوف عليها، فلم نَرَ فيما عرضَتْه من شروط الحسن (عليه السلام)، إلا النُتَف الشوارد التي يعترف رواتها بأنها جزء من كل، وسجّل مصدر واحد صورةً ذاتَ بَدْءٍ وختام، افترض أنها النص الكامل لمعاهدة الصلح، ولكنها جاءت – في كثير من موادّها – منقوضة بروايات أخرى تَفْضُلها سَنَداً، وتزيدها عدداً.

ولنا لو أردنا الاكتفاء، أن نكتفي – في سبيل التعرّف على محتويات المعاهدة – برواية (الصحيفة البيضاء)، كما فعل رواتها السابقون، فبتروها اكتفاءً بإجمالها عن التفصيل، ذلك لان تنفيذ الصلح على قاعدة (**اشترط ما شئت فهو لك**) معناه أن الحسن (عليه السلام) أغرق الصحيفة المختومة في أسفلها، بشتى شروطه التي أرادها، فيما يتصل بمصلحته، أو يهدف إلى فائدته، سواء في نفسه أو في أهل بيته أو في شيعته أو في أهدافه، ولا شيء يحتمل غير ذلك.

وإذا قُدِّر لنا – اليوم – أن لا نعرف تلك الشروط بمفرداتها، فلنعرف أنها كانت من السعة والسماحة والجنوح إلى الحسن

(عليه السلام)، بحيث صححت ما يكون من الفقرات المنقولة عن المعاهدة أقرب إلى صالح الحسن (عليه السلام)، ورجّحته على ما يكون منها في صالح خصومه، كنتيجة قطعية لحرية الحسن (عليه السلام) في أن يكتب من الشروط ما يشاء.

ورأينا بدورنا – بعد أن لم يخالفنا التوفيق في التعرف على ما كتبه الإمام الحسن (عليه السلام) هناك – أن نُنسِّق هنا الفقرات المنثورة في مختلف المصادر من شروط الحسن على معاوية في الصلح، وأن نؤلِّف من مجموع هذا الشتات صورة تحفل بالأصح والأهم، مما حملته الروايات الكثيرة عن هذه المعاهدة، فوضعنا الصورة في مواد، وأضفنا كل فقرة من الفقرات إلى المادة التي تناسبها، لتكون – مع هذه العناية في الاختيار والتسجيل – أقرب إلى واقعها الذي وقعت عليه.

صورة المعاهدة التي وقّعَها الفريقان:

المادة الأولى: تسليم الأمر إلى معاوية، على أن يعمل بكتاب اللّه وبسنة رسوله (صلى الله عليه وآله)[1].

---

[1] المدائني: فيما رواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج: ج٤ ص٨.

المادة الثانية: أن يكون الأمر للحسن (عليه السلام) من بعده[1]، فإن حدَثَ به حدَثٌ فلأخيه الحسين (عليه السلام) [2]، وليس لمعاوية أن يعهد به إلى أحد[3].

المادة الثالثة: أن يَتْرُك سبَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) والقنوت عليه بالصلاة[4]، وأن لا يذكر علياً إلا بخير[5].

المادة الرابعة: استثناء ما في بيت مال الكوفة، وهو خمسة آلاف ألف، فلا يشمله تسليم الأمر، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسن (عليه السلام) كل عام ألفي ألف درهم، وأن يفضّل بني هاشم في العطاء والصِلات على بني عبد شمس، وأن يُفرِّق في أولاد مَنْ قُتِل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم الجَمَل وأولاد مَنْ قُتِل معه بصفين

---

[1] تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٩٤، وابن كثير: ج ٨ ص ٤١، والإصابة: ج٢ ص١٢ و١٣، وابن قتيبة: ص١٥٠، ودائرة المعارف الإسلامية لفريد وجدي: ج٣ ص٤٤٣ الطبعة الثانية وغيرهم.

[2] عمدة الطالب لابن المهنّا: ص٥٢.

[3] المدائني: فيما يرويه عنه في شرح النهج: ج٤ ص٨، والبحار: ج١٠ ص١١٥.

[4] أعيان الشيعة: ج٤ ص٤٣.

[5] الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ص٢٦، وشرح النهج: ج٤ ص١٥.

ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد[1].

المادة الخامسة: وتنص على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض اللّه، في شَامهم وعِراقهم وحِجازهم ويَمنهم، وأن يؤمِّنَ الأسود والأحمر، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتبع أحداً بما مضى، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحْنَةٍ[2].

وعلى أمان أصحاب عليّ (عليه السلام) حيث كانوا، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي (عليه السلام) بمكروه، وأنّ أصحاب علي (عليه السلام) وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حق حقه، وعلى ما أصاب أصحاب عليّ حيث كانوا[3].

---

[1] تجد هذه النصوص متفرقة في الإمامة والسياسة: ص٢٠٠، والطبري: ج٦ ص٩٢، وعلل الشرائع لابن بابويه: ص٨١، وابن كثير: ج٨ ص١٤، وغيرهم. و(دار أبجرد: ولاية بفارس على حدود الأهواز).

[2] مقاتل الطالبيين: ص٢٦، ابن أبي الحديد: ج٤ ص١٥، البحار: ج١٠ ص١٠١ و١١٥.

[3] يتفق على نقل كل فقرة أو فقرتين أو أكثر، من هذه الفقرات التي تتضمن الأمان لأصحاب علي (عليه السلام) وشيعته، كل من الطبري: ج٦ ص٩٧، وابن الأثير:

وعلى أن لا يبغيَ للحسن بن علي (عليهما السلام)، ولا لأخيه الحسين (عليه السلام)، ولا لأحد من أهل بيت رسول اللّه (صلى الله عليه وآله)غائلةً، سِراً ولا جَهراً، ولا يُخيف أحداً منهم، في أُفُقٍ من الآفاق[1].

دوافع معاوية إلى الصلح:

دوافع معاوية التي دعته إلى طلب الصلح، كانت من نوع آخر لا يرجع في جوهره إلى العجز عن القتال، ولا ينظر في واقعه إلى وجهة نظر دين أو إصلاح أو حقن دماء، فلا الإصلاح ولا حقن الدماء بالذي يُعنى به معاوية فيتزل له عن مطامعه في بسط السلطة، وفي غاراته على المدينة ومكة واليمن، ومواقفه الجريئة بصفين، ما يزيدنا بصيرةً في معرفة الرجل وإن قلّ عارفوه.

إذاً، فليكن طموحاً نفعياً خالصاً، هو الأشبه بتاريخ معاوية الذي جاء تاريخه أشبه بأسطورة، فقد خُيِّل إليه بأنّ تنازل الحسن (عليه السلام) له عن الحكم، سيكون معناه في الرأي العام، تنازله عن (الخلافة)، وظن أنه سيُصبح – على هذا – (الخليفة الشرعي في

ج ٣ ص١٦٦، وأبي الفرج في المقاتل: ص ٢٦، وشرح النهج: ج٤ ص١٥، والبحار: ج١٠ ص١١٥، وعلل الشرائع: ص٨١، والنصائح الكافية: ص ١٥٦.

[1] البحار: ج١٠ ص١١٥، والنصائح الكافية: ص١٥٦– ط.ل.

المسلمين)، فيبدأ بتقويض أركان الإسلام التي طالما حلم أبوه بتقويضها، فكان الابن على سر أبيه بذلك الشَّر المتوارث في سلالته والمستمر في عقبه، وكيف لا وهم الشجرة الملعونة في القرآن التي قُدِّر لها أن تُذيق المسلمين وأهل بيت نَبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) بالخصوص الأَمَرَّين، فيكونوا طواغيت العصور بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله)، وكان هذا هو الحُلُم اللذيذ الذي استرخص في سبيله كلَّ غالٍ، وخَفِيَ عليه أن الإسلام أعزُّ جانباً من أن يُهضَم بالأساليب الهوج، أو يُعطي إقليده للطلقاء وأبناء الطلقاء.

هذا، ولا نُنكر أن يكون لمعاوية بواعث أخرى جعلت منه إنسانا آخر يُنكر الحرب ويمد يده إلى الصلح ويوقِّع الشروط ويحلف الأيمان ويؤكد المواثيق، ولكنّا - إذ نتحرى بواعثه الأخرى - لا نزول عن الاعتقاد بأن الحُلُم اللذيذ الذي ذكرناه، كان أكبرَ دوافعه وأشدَّ بواعثه.

وفيما يلي قائمة مناسبات تصلح لأن تكون بعض دوافعه إلى الصلح:

١ - إنه كان يرى أن الحسن بن علي (عليهما السلام)، هو صاحب الحق في الأمر، ولا سبيل إلى اقتناص (الأمر) إلا عن طريق

إسكات الحسن (عليه السلام) – ولو ظاهراً –، ولا سبيل إلى إسكاته إلا بالصلح، بعد أن عرفه حق المعرفة أنه ابن قَتّال العرب الأنزع البطين، الذي له من المؤهلات الشخصية والسياسية ما يملك به قلوب المؤمنين ليلتفوا حوله، وليس له في مقابل ذلك إلا المكر والحيلة، وهو يعرف أن حبلهما قصير مهما طال الأمر.

أما رأيه بأولوية الحسن (عليه السلام) بالأمر، فقد جاء صريحاً في كتابٍ كتبه إلى الإمام الحسن (عليه السلام) قبيل زحفهما للصراع في مَسكِن، بقوله له: إنك أولى بهذا الأمر وأحق به، وجاء صريحاً فيما قاله لابنه يزيد على ذكر أهل البيت (عليهم السلام): يا بُنيَّ إن الحق حَقُّهم[1]، وفيما كتبه إلى زياد بن أبيه حيث يقول له على ذكر الحسن (عليه السلام): وأمّا تسلُّطه عليك بالأمر فحقٌ للحسن أن يتسلط.

وكذلك رأيناه يستفتي الإمام الحسن (عليه السلام)، فيما يعرض له من

---

[1] ابن أبي الحديد: ج٤ ص٥ وص١٣ وص٧٣.

معضلات كمن يعترف بإمامته[1]، ويعترف للحسن (عليه السلام) بأنه (سيد المسلمين)[2] وهل سيّدُ المسلمين إلا إمامُهم؟.

٢ – إنه كان – على كثرة الوسائل الطيّعة لأمره – شديدَ التوجس من نتائج حربه مع الحسن، و لم يكن كتوماً (كما يدّعي لنفسه) يوم قال في وصف خصومه العراقيين: فَوَاللّه ما ذكرت عيونهم تحت المخافر بصفين إلا لبس عَليّ عقلي[3]، ويوم قال فيهم: ما لهم عضبهم[4] اللّه بِشَر، ما قلوبهم إلا كقلب رجل واحد[5]، فكان يرى في الجنوح إلى الصلح، مفراً من منازلة هؤلاء ومواجهة عيونهم تحت المخافر ! .

٣ – إنه كان يهاب موقع الإمام الحسن بن رسول اللّه

---

[1] وتجد الشواهد الكثيرة على ذلك فيما أورده اليعقوبي في تاريخه: ج٢ ص٢٠١ وص٢٠٢، وفيما استعرضه ابن كثير في البداية والنهاية: ج٨ ص٤٠، وفيما رواه في البحار: ج١٠ ص٩٨.

[2] الإمامة والسياسة: ص١٥٩–١٦٠.

[3] المسعودي هامش ابن الأثير: ج٦ ص٦٧ وغيره.

[4] العَضَب: القطع، وفي اللسان: وتدعوا العرب على الرجل فتقول: ماله عضبه الله، يدعون عليه بقطع يديه ورجليه.

[5] تاريخ الطبري: ج٦ ص٣.

(ﷺ) في الناس، ومقامه الروحيّ الفريد في عقيدة المسلمين، فيتقي حربه بالصلح.

وكان يرى من الجائز، أن يُقيّض اللّه لمعسكر الشام من يتطوع لتنبيه الناس فيه إلى حقيقة أمر الإمام الحسن (عليه السلام)، وفظاعة موقفهم منه، الأمر الذي من شأنه أن لا يتأخر بمسلمة الجيش في جبهة معاوية عن الانتقاض عليه والنكول عنه، وبالجيش كله عن الانهيار أخيراً.

وكان معاوية لا يزال يتذكر في زحفه على الحسن (عليه السلام)، حديث النعمان بن جبلة التنوخيّ معه في (صفين) – وهو إذ ذاك أحد رؤساء جنوده المحاربين–، وقد صارحه بما لم يصارحه بمثله شاميّ آخر، وسَخِر منه بما لم يَسْخَر بمثله رَعيّة من سلطان، ولا يأمن معاوية أن يشعر الناس تجاهه – اليوم – شعور ذلك التنوخي المغلوب على أمره — يومئذ –.

وكان مما قاله هذا التنوخي لمعاوية في صفين: واللّه لقد نصحتُك على نفسي، وآثرتُ ملكَك على دِيني، وتركتُ لهواك الرشدَ وأنا أعرفُه، وحُدْتُ عن الحق وأنا أُبصره، وما وافقت لرشد وأنا أقاتل عن ملك ابن عم رسول اللّه (ﷺ) وأول مؤمن

به ومهاجرٍ معه، ولو أعطيناه ما أعطيناك، لكان أرأَفَ بالرعية وأجزَلَ في العطية، ولكن قد بذلنا لك الأمر، ولابد من إتمامه كان غياً أو رشداً، وحاشا أن يكون رشداً، وسنقاتل عن تين الغوطة وزيتونها، إذا حرمنا أثمار الجنة وأنهارها![1].

وكان من سياسة معاوية، حبس أهل الشام عن التعرف على أحد من كبراء المسلمين – خارج الشام – لئلا يكون لهم من ذلك منفذ إلى إنكاره أو الانقسام عليه، ولذلك فلا نعرف كيف تسنى لهذا الشامي معرفة ابن عم رسول اللّه (صلى الله عليه وآله) ومعرفة سبقه إلى الإيمان ورأفته بالناس وكرمه في العطاء وأولوّيته بالأمر.

وحرص معاوية على تجهيل أهل الشام بأَعلام الإسلام إلى آخر عهده، وكانت سياسته هذه، هي أداته في التجمعات التي ساقها لحروب صفين أولاً، ولحرب الحسن بن علي في (مسكن) أخيراً.

وتجد ظاهرة هذه السياسة – بما فيها من إعلان عن ضعف صاحبها – فيما قاله معاوية ذات يوم لعمرو بن العاص وقد تحدّى الحسَنَ بن علي (عليهما السلام)، فردّ عليه الحسن (عليه السلام) بتحدّياته البليغة التي لم يسلم منها المحرِّض عليها – أيضاً –، فقال معاوية لعمرو:

---

[1] المسعودي: هامش ابن الأثير: ج٥ ص٢١٦.

واللّه ما أردتَ إلا هتكي، ما كان أهل الشام يرون أنَّ أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا[1].

٤ – وكان من الرشاقة السياسية التي لا يُخطِئها معاوية في سبيل طموحه الأناني إلا نادراً، أن يدعو إلى (الصلح) فيلحّ عليه ويُشهد على دعوته هذه أكبر عدد ممكن من الناس في المِصرين – الشام والعراق – وفي سائر الآفاق التي يصلها صوته من بلاد الإسلام، ثم هو لا يقصد من وراء هذه الدعوة – على ظاهرها – إلا التمهيد لغده القريب الذي ستنكشف عنه نتائج الحرب بينه وبين الإمام الحسن (عليه السلام)، وكان أحد الوجهين المحتملين، أن يُدال للشام من الكوفة وأن تقضي الحربُ وذيولها على الحسن والحسين (عليهما السلام) وعلى من يليهما من أهل بيتهما وشيعتهما، ولا تدبير – يومئذ – للعذر من هذه البائقة الكبرى أروع من أن يُلقيَ معاوية مسؤوليتها على الحسن (عليه السلام) نفسه، ويقول للناس غير كاذب: إني دعوت الحسن للصلح، ولكن الحسن أبى إلا الحرب، وكنت أريد له الحياة، ولكنه أراد لي القتل، وأردت حقن الدماء، ولكنه أراد هلاك الناس بيني وبينه ....

---

[1] المحاسن والمساوئ للبيهقي: ج١ ص٦٤.

ولمعاوية من هذه اللباقة الخبيثة أهدافه التي لا تتأخر به عن تصفية الحساب مع آل محمد (ﷺ) تصفيته الأموية الأخيرة، وهو إذ ذاك المنتصر العادل المتظاهر بالإنصاف، الذي يشهد له على إنصافه كل من كان قد أشهده – قبل الحرب – على ندائه بالصلح، أما الحسن (عليه السلام)، فلم يكن الرجل الذي تفوته اللباقة السياسية ولتنطلي عليه الأساليب الملتوية التي يبرع فيها عدوه للنكاية به، وإنما كان –على كل حال– أكبر من عدوه دهاء، وأبرع منه في استغلال الظروف واقتناص الفرص السانحة التي تجتمع عليها كلمة اللّه وكلمة المصلحة معاً، فرأى (عليه السلام) بثاقب بصره أن يستفيد من ظروفه المتداعية، ومن سوء نوايا عدوّه فيما أراد من الدعوة إلى (الصلح)، لقلب الكفّة لصالحه وصالح أصحابه والأمة بأسرها، مما استدعاه إلى الجواب بالإيجاب، ثم لم يكفه أنه قضى بذلك على خطط معاوية وشلها عن التنفيذ، حتى أخذ يضع الخطة الحكيمة من جانبه للقضاء على خصومه باسم الصلح.

اسباب صلح الإمام الحسن [عليه السلام].

تحوم حول صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع خصمه معاوية كثير من الظنون والأقوال، ويستفاد من معطيات التاريخ قراءات مختلفة، إلا أننا إذا أردنا أن نكون منصفين لابد لنا أن نستعرض هذه القراءات ثم نختار – بتجرد وإنصاف – منها ما نجده متوافقا مع مجمل القرائن التي تحيط بهذا الحدث الكبير في تأريخ الإسلام، وقد تنسجم هذه القرائن مع هذه القراءة أو تلك، وإن كان بعض هذه القراءات واضحة الضعف والخطأ إلا أن ذكرها لا يخلو من فائدة، ولا أقل من التنبه لما يقال حول هذا الحدث التأريخي في المنتديات الفكرية، ويطلع على حجم الخطأ الفادح الذي يوجد في كتب التأريخ، ونحن قد رتبنا هذه القراءات من الأبعد عن الصواب إلى أكثرها مقبولية وفق منهج التمحيص والتحقيق، لنستدرج القارئ إلى النهاية التي أردناها من هذا الكتاب، وهي الوصول إلى قبول التحليل الجديد الذي يسلط الضوء بشكل صادق ودقيق حول هذه الفترة المهمة من تاريخ الأمة ويعطيها أبعادها الحقيقية.

القراءة الأولى للصلح:

وهي القراءة التي يرّوج لها كُتّاب الدولة الأموية وأبواقها ومرتزقتها وهم كُثُر، بعد تنامي هذه الدولة الملعونة، لذا ترى انتشار هذه القراءة في الأوساط، وشيوعها عند عامة الناس.

وتعود خلاصته إلى محاولة تصوير ضعف إرادة الإمام (عليه السلام) وعدم إحاطته بشؤون السياسة العامة وعجزه عن إدارة دفة الدولة، وعدم تداركه للموقف بالاعتماد على الأساليب السياسية وإن منع عنها الدين، فإن نال الظَفَر فذاك، وإلا فالشهادة في سبيل المجد التي هي شعار الهاشميين، وهدف المصلحين، وهذا الرأي مبني على ظواهر لا تُمتّ إلى الواقع بِصلة، ولا تلتقي معه بطريق، وذلك لعدم ابتنائه على دراسة الظروف المحيطة بالإمام، وعدم الوقوف على ميول شعبه الذي أصيب بأخلاقه وعقيدته، مع نية أموية واضحة لتشويه سيرة أهل البيت (عليهم السلام) وتصويرهم بالعاجزين عن إدارة الدولة وبالتالي عدم استحقاقهم للخلافة الإلهية بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، أو قد يكون صاحب هذا الرأي ممن سارع إليه من غير بصيرة أو إدراك لخطورته، لعجز أو تواكل، فلذا كان هذا الرأي سطحيا وخاليا عن التحقيق وبعيدا عن الواقع، مع قسط وافر من سوء النية والسريرة، أما الذاهبون لهذا

الرأي فهم:

١ ــ الصفدي:

قال الصفدي في شرحه لهذا البيت من لامية العجم:

عن المعالي ويغري المرء بالكسل حب السلامة يثني عزم صاحبه

وقد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء والأكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم، وأحلَوا الدسوت من تصديرهم، ثم ذكر جماعة من الذين رضوا بالخمول ونزعوا عن أنفسهم الخلافة ثم قال:

وهذا الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال لمعاوية: إن عَلَيّ دَينا فأوفُوه عَنّي وأنتم في حِلٍّ من بيعتي، فأوفوا دَينه وترك لهم الخلافة[1]. وقد خَبَط ألصفدي خَبْط عَشواء، وكان قلما أمويا — من حيث يشعر أو لا يشعر — يُشوِّه الحقائق ويطمس آثار أهل البيت (عليهم السلام)، فإن الإمام متى باع الخلافة على خصمه بوفاء دينه؟ نعوذ بالله من هذا الافتراء.

٢ ــ الدكتور فيليب حتي:

قال فيليب حتي: وفي بدء حكم معاوية قامت حركة أخرى

---

[1] شرح لامية العجم: ج٢ ص٢٧.

كان لها شأن كبير في الأجيال التي تلت، أعني: إعلان أهل العراق الحسن بن علي الخليفة الشرعي، ولعملهم هذا أساس منطقي لأن الحسن كان أكبر أبناء علي وفاطمة ابنة النبيّ الوحيدة الباقية بعد وفاته، ولكن الحسن الذي كان يميل إلى الترف والبذخ، لا إلى الحكم والإدارة لم يكن رجل الموقف، فانزوى عن الخلافة مكتفيا بهبة سنوية منحه إياها[1].

٣ ــ العلائلي:

قال العلائلي: ولكنه - يعني: الحسن(عليه السلام) - كان قديرا على أن يَعُدّ الجماعات المنحلة عن طريق الاستشارة والحماس، وبث روح العزم والإرادة كما رأينا في القادة الحديديين أمثال نابليون الذي تولى شعبا أنهكته الثورة الطويلة كما أنهكت العرب، وزاد هو في إنهاكه بالحروب المتتالية المستمرة التي أخذ بها أوربا، ولكن القائد غمرته موجة السأم التي غمرت الناس[2].

٤ ــ المستشرق روايت رونلدس:

قال هذا المستشرق: فإن الأخبار تدل على أن الحسن كانت

---

[1] العرب للصفدي: ص٧٨.

[2] نقلاً عن القرشي في حياة الإمام الحسن (عليه السلام) : ص١٣.

تنقصه القوة المعنوية والقابلية العقلية لقيادة شعبه بنجاح.[1]

وهذا المستشرق من الحاقدين على الإسلام، وقد شحَن كتابه بالكذب والطعن على الإسلام والحط من قيمة أعلامه النابهين.

٥ ــ لامنس:

قال هذا الإنكليزي المتهوس الأثيم الذي لم يفهم من التاريخ الإسلامي شيئا: وبويع للحسن بعد مقتل علي فحاول أنصاره أن يقنعوه بالعودة إلى قتال أهل الشام، وقلَبَ هذا الإلحاح من جانبهم حفيظة الحسن القعيد الهمة، فلم يَعُد يفكر إلا في التفاهم مع معاوية، كما أدى إلى وقوع الفرقة بينه وبين أهل العراق، وانتهى بهم الأمر إلى إثخان إمامهم – اسما لا فعلا – بالجراح فتملكت الحسن منذ ذلك الوقت فكرة واحدة هي الوصول إلى اتفاق مع الأمويين، وترك له معاوية أن يحدد ما يطلبه جزاء تنازله عن الخلافة، و لم يكتف الحسن بالمليوني درهم التي طلبها معاشا لأخيه الحسين بل طلب لنفسه خمسة ملايين درهما أخرى، ودخل كوره في فارس طيلة حياته وعارض أهل العراق بعد ذلك في تنفيذ الفقرة الأخيرة من هذا الاتفاق، بَيْدَ أنه أجيب إلى كل ما

---

[1] حياة الإمام الحسن: المستشرق روايت رونلدس ص١١٣.

سأله حتى أن حفيد النبي اجترأ فجاهر بالندم على أنه لم يضاعف طلبه وترك العراق مشبعا بسخط الناس عليه ليقبع في المدينة[1]، وهذه الدائرة لم تكن إلا دائرة كذب وافتراءات فقد حفلت بالطعن على الإسلام والسب لأعلامه خصوصا في بحوث (لامنس) عن الشيعة وعن أئمتهم فإنها مليئة بالبهتان والتهريج عليهم، والسبب في ذلك إن لجان التبشير المسيحي هي التي تدفع أمثال هذه الأقلام المأجورة لتشويه الإسلام والكيد له، مضافا إلى أن بحوث المستشرقين تعتمد على دراسة سطحية خالية عن التحقيق والتدقيق، ومن المؤسف أن شبابنا قد عكف على دراسة مؤلفاتهم والاعتماد عليها في أطروحاتهم مع أنها لا نصيب لها من الصحة والواقع.

وهؤلاء الناقدون لصلح الإمام (عليه السلام) كان بعضهم مدفوعا بدافع الحقد والعداء للإسلام، وبعضهم لم يكن رأيه خاضعا لحرية الفكر ولم يحتضن قولهم الدليل في جميع أحواله، وذلك لعدم وقوفهم على العوامل التي أحاطت بالإمام حتى دعته إلى مسالمة خصمه، ويجب على الكاتب الذي يريد أن يجسد للمجتمع صورة

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية: ج٧ ص٤٠٠.

عن شخصية مهمة لها من الخطورة شأن كبير أن يحيط بأطرافها من جميع النواحي ليكون رأيه قريبا إلى الصواب وبعيدا عن الخطأ.

وقد استند هؤلاء في تكوين الرؤية السلبية المتقدمة عن الإمام الحسن (عليه السلام) إلى روايات أوردتها مصادر تأريخية إسلامية، مما وضعه الإعلام العباسي بأمر الخليفة العباسي أبي جعفر الدوانيقي، لمواجهة الحسنيين الثائرين ضد العباسيين، لتجريدهم من سلاح قوي بيدهم وهو التاريخ المشرق لأبيهم الحسن (عليه السلام) وجدّهم علي (عليه السلام)، حيث صوَّروا الإمام الحسن (عليه السلام) أنه رجل شهوات وملذات، في قِبال ما تعرضه الروايات الصحيحة من أنه شخصية رائدة: عبادةً وسلوكاً ومكانةً في الدين، وأنه بلغ في الشرف ما لم يبلغه أحد بعد جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبيه أمير المؤمنين (عليه السلام).

القراءة الثانية للصلح:

يحاول أصحاب هذه القراءة تبرير موقف الإمام في

صلحه وموفقيته فيه إلى أبعد الحدود، ويستند إلى العِلل المادية التي اضطرت الإمام إلى الصلح كخِذلان جيشه، وفساد مجتمعه، وخيانة الزعماء والمُبرزّين والوجهاء من شعبه وغير ذلك من العوامل، وهي كما يأتي:

العامل الأول: تَفَلُّل الجيش.

إن أعظم ما تواجهه دولة ما مما يثير الاضطراب ويسبب القلاقل والفتن ناتج في الأغلب من خُبث الجند، وشدة خِلافِه، وعصيانه لقيادته العامة، وقد مُني جيش الإمام (عليه السلام) آنذاك بالتمرد والانحلال بما لم يُبتَلَ به جيش معاوية، فإنه ظل محتفظا بالولاء لحكومته و لم يُصَب بمثل هذه الرجّات والانتكاسات.

أما العلل التي أدت إلى اضطراب جيش الإمام (عليه السلام) وانشقاقه فهي:

● **تضارب الحزبية فيه:**

إن الأحزاب إذا تضاربت في الجيش وكانت مدفوعة بالحقد للحكم القائم، أو كان لها اتصال بدولة أجنبية تعمل بوحي منها، وتستمد منها التوجيهات للإطاحة به، فإن الدولة لا تلبث أن تُلاقي النهاية المحتومة عاجلا أو آجلا، وقد ابتُلي جيش الإمام

(عليه السلام) في ذلك الوقت بحزبين ليس فيهما صديق للدولة الهاشمية ولا محافظ عليها، وإنما كانا يبذلان المساعي والجهود للقضاء عليها، وهما:

الحزب الأموي: وهؤلاء هم أبناء الأسر البارزة وذوو البيوت الشريفة الذين لا يهمهم غير الزعامة الدنيوية، والظفر بالمال والسلطان وهم كعُمر بن سعد، وقيس ابن الأشعث، وعَمرو بن حُريث، وحجّار بن أبجر، وعمرو بن الحجّاج، وأمثالهم من الذين لا صلة لهم بالفضيلة والكرامة، وكانوا أهم عنصر مخيف في الجيش، فقد وعدوا معاوية باغتيال الإمام (عليه السلام) أو بتسليمه له أسيرا، كما قاموا بدورهم بأعمال بالغة الخطورة وهي:

١. إنهم سجّلوا كل ظاهرة أو بادرة في الجيش فأرسلوها إلى معاوية للاطلاع عليها.

٢. كانوا همزة وصل بين معاوية وبقية الوجوه.

٣. قاموا بنشر الأراجيف والإرهاب في نفوس الجيش عن قوة معاوية وضعف الحسن (عليه السلام).

وأدت هذه الأعمال إلى انهيار الجيش، وزعزعة كيانه، وضعف معنوياته في جميع المجالات.

الحزب الحَروري [الخوارج]: وهذا الحزب قد أخذ على نفسه الخروج على النظام القائم، ومحاربته بجميع الوسائل، وقد انتشرت مبادؤه في جيش الإمام (عليه السلام) انتشارا هائلا، لأن المبشّرين بأفكارهم كانوا يحسنون غزو القلوب والأفكار ويجيدون الدعاية، وقد وصف زياد بن أبيه مدى قابليتهم بقوله: لَكلامُ هؤلاء أسرعُ إلى القلوب من النار إلى اليَراع[1]، ووصف المغيرة بن شعبة شدة تأثيرهم في النفوس بقوله: إنهم لم يقيموا ببلد إلا أفسدوا كلٌ من خالطهم[2].

وقد استولوا على عقول السذج والبسطاء من الجيش بشعارهم الذي هتفوا به (لا حكم إلا لله) و لم يقصدوا بذلك إلا حكم السيف كما يقول فان فلوتن[3].

لقد قضت خُطط الخوارج الملتوية بوجوب الخروج على ولي أمر المسلمين إذا لم ينتمِ إليهم، وهو عندهم جهاد ديني تجب التضحية في سبيله، وقد قاموا بأعنف الثورات ضد الولاة حتى

---

[1] أي: القصب.

[2] تاريخ الطبري: ج٦ ص١٠٩.

[3] السيادة العربية: ص٦٩.

عَسُر عليهم مقاومتهم، وكان الخوارج يحملون حقدا بالغا في نفوسهم على الحكومة الهاشمية، لأنها قد وترتهم بأعلامهم، وقضت على الكثيرين منهم في واقعة النهروان، وقد فتكوا بالإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وتركوه صريعا في محرابه انتقاما منه بما فعله فيهم، كما حاولوا اغتيال الإمام الحسن (عليه السلام) وطعنوه في فخذه، وحكموا بتكفيره، وأعداد هذه العصابة كثيرة للغاية فقد نَصَّت بعض المصادر أن أكثرية الجيش كانت من الخوارج[1].

وهذان الحزبان السائدان في العراق قد بذلا جميع الطاقات لإفساد الجيش، وبذر الخلاف والانشقاق في جميع وحداته حتى ارتطم في الفتن والأهواء، ويضاف لذلك أن هناك مجموعة كبيرة من الجيش كان موقفها موقفا سلبيا من قضية الإمام الحسن (عليه السلام) لأنها لا تفقه الأهداف الحقيقية التي ينشدها الإمام (عليه السلام)، ولضيق تفكيرها كانت ترى أن الخليفة هو كل من ارتقى دست الحكم، من أي طريق كان، فالحسن (عليه السلام) ومعاوية سيّان، وإن حارب الحسنُ (عليه السلام) معاويةَ على الدِّين، وحارب معاويةُ الحسنَ (عليه السلام) على الدنيا.

---

[1] أعيان الشيعة: ج٤ ص٤٢.

ولم يَعُد بعد ذلك من يُناصر الحكومة الهاشمية، ويقف إلى جانبها سوى الفئة الشيعية التي ترى رأي العلويين في أحقيتهم بالخلافة، وهم أمثال الزعيم قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وعدي بن حاتم الطائي، وحجر بن عدي، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر، وأضرابهم من تلامذة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وهم الأقلية عددا كما قال الله تعالى﴿ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[1] وليس باستطاعتهم أن ينتشلوا الحكومة من الأخطار الحافة بها، فإنهم لو كانوا كثرة في الجيش لما اضطر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على قبول التحكيم، ولما التجأ الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الصلح.

● **السأم من الحرب:**

إن من طبيعة الكوفة التي جُبلت عليها نفوس أهلها، السَّأَم والمَلَل (ولا رأي لَملول)، ومضافا لهذه الظاهرة النفسية التي عرفوا بها أن هناك سببين أوجبا زيادته ومضاعفته، وهما:

الحروب المتتالية: ومما سبب شيوع الملل والسأم في نفوس جيش الإمام (عليه السلام) الحروب المتتالية فإن الدولة كانت تستعمله في الفتوحات والدفاع عنها، وزاد في ضعف أركانه وانهياره حرب

---

[1] سورة ص: ٢٤.

صفين والنهروان، فقد طحنت الحرب فيها جمعا غفيرا منهم حتى أصبحوا يكرهون الحرب ويُؤثِرون السِّلم ويُحبّون العافية.

اليأس من الغنائم: ولم يغنم جيش الإمام (عليه السلام) في حرب الجمل وصفين والنهروان شيئا من العتاد والأموال، لأن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يعامل خصومه معاملة الكفار، فيقسّم غنائمهم على المسلمين، وإنما أمر بإرجاع جميع الأموال التي اغتنمها جيشه إلى أهلها بعد انتهاء حرب البصرة[1]، وقد علم الجيش أن الإمام الحسن (عليه السلام) لا يتحول عن سيرة أبيه ونهجه، فلم يثقوا بالأموال والغنائم إن حاربوا معاوية، فأعلنوا العصيان وأظهروا التمرد والسأم من الحرب.

● **فقد القوى الواعية:**

ومما سبب تفلّل الجيش فقده للقوى الواعية من أعلام الإسلام الذين آمنوا بحق أهل البيت (عليهم السلام) وعرفوا فضلهم، وكان الجيش بجميع كتائبه يُكنّ لهم أعمق الولاء والتقدير لأنهم من خيار المسلمين، ومن الذين أبلَوا في الإسلام بلاء حسنا، وكان لهم شأن كبير في تنظيم الحركة العسكرية، وفي توجيه الجيش في خدمة

---

[1] علي وبنوه: ص٥٥.

الأهداف الإسلامية، وهم أمثال الصحابي العظيم عمار بن ياسر، والقائد الملهم هاشم المرقال، وثابت بن قيس، وذو الشهادتين ونظائرهم من الذين سبقوا إلى الإسلام والإيمان، وقد طحنتهم حرب صفين، وقد أحصى رواة الأثر عدد البدريين منهم فكانوا ثلاثا وستين بدريا، وهناك كوكبة أخرى من أبرار الصحابة وخيارهم قد استشهدوا في تلك الحروب التي أثارها الطامعون والمنحرفون عن الإسلام ضد وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وباب مدينة علمه أمير المؤمنين (عليه السلام)، وقد ترك فقدهم فراغا هائلا في صفوف الجيش، فقد خسر الضروس والرءوس، وبُلِي من بعدهم بالمنافقين والخوارج الذين كانوا سوسة تنخر في كيانه، ولو ضم جيش الإمام (عليه السلام) أمثال أولئك الأبرار لما التجأ إلى الصلح والموادعة مع خصمه.

● **الدعوة إلى الصلح:**

ومما سبب ضعف العزائم، وإخماد نار الثورة في نفوس الجيش دعوة معاوية إلى الصلح وحقن الدماء، فقد كانت هذه الدعوى لذيذة مقبولة إلى حد بعيد، فقد استطابها البسطاء والسذج ورحب بها عملاء معاوية وأذنابه من الذين ضمهم جيش الإمام

(عليه السلام)، ولم تكن الأكثرية الساحقة في الجيش تعلم بنوايا معاوية وما يبيّته لهم من الشر، فانخدعوا بدعوته إلى الصلح كما انخدعوا من قبل في رفع المصاحف، مضافا لذلك خيانة زعمائهم، والتحاقهم بمعسكر معاوية.

وعلى أي حال فقد رحبت أكثرية الجيش بالدعوة إلى الصلح وآثرت السلم على الحرب، ولم يكن في استطاعة الإمام أن يرغمهم على مناجزة معاوية ومقاومته.

- **خيانة عبيد الله بن العباس:**

ويعتبر خذلان عبيد الله بن العباس من العوامل المهمة التي سببت تفكك الجيش وتخاذله، فقد طعن بخيانته جيش الإمام (عليه السلام) طعنة نجلاء، وفتح باب الخيانة والغدر، ومهد السبيل للالتحاق بمعاوية، وقد وجد ذوو النفوس الضعيفة مجالا واسعا للغدر بخيانتهم للإمام (عليه السلام)، فاتخذوا من غدر عبيد الله وسيلة لذلك، فهو ابن عم الإمام وأقرب الناس إليه، وقد أولد غدر عبيد الله في نفس الإمام (عليه السلام) حُزنا بالغا وأسى مريرا، فانه لم يرع الدين، ولا الوتر، ولا العنعنات القبلية، ولا الرحم الماسة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا قائده الأعلى، ولا الميثاق الذي واثق الله

عليه في البيعة منذ كان أول من دعا الناس إلى بيعة الحسن (عليه السلام) في مسجد الكوفة، ولا الخوف من حديث الناس، ونقمة التاريخ.

- **شراء معاوية للذمم:**

وبالأموال تشترى ذمم الرجال، وتباع الأوطان، وتخمد الأفكار، ويسيل لها لعاب الأبطال، وقد عمد معاوية إلى بذلها بسخاء إلى الوجوه والأشراف والزعماء، فإنه لم ير وسيلة للتغلب على الأحداث إلا بذلك، فغدروا بالإمام (عليه السلام)، وتسللوا إليه في غَلَس الليل وفي وَضَح النهار غير حافلين بالعار والخزي وعذاب الله، وقد أدت خيانتهم إلى اضطراب الجيش وتفلله، وإعلانه للعصيان والتمرد.

إن الأكثرية الساحقة من الجيش لم يكن لها أي هدف نبيل، وإنما كانت تسعى نحو المنافع والأطماع، وقد أدلى بعضهم بذلك في بعض المعارك فقال: من أعطانا الدراهم قاتلنا معه.

إن الجيش إذا كان مدفوعا بالدوافع المادية فانه لا يُخلِص في دفاعه، ولا يُؤمَن من انقلابه، وخطرُهُ على حكومته أعظمُ من الخطر الخارجي.

إن معاوية عرف نقطة الضعف في جيش الإمام (عليه السلام) فأغدق

عليهم بالرشوات حتى استجابوا له وتركوا عترة نبيهم (صلى الله عليه وآله) ووديعته في أمته.

● **الإشاعات الكاذبة.**

ومما سبب انحلال الجيش الإشاعات الكاذبة التي أذاعها عملاء معاوية في (المدائن)، تارةً بأن قيس بن سعد قد قُتل، وأخرى بأنه قد صالح معاوية، وقد اعتقد الجيش بصحة هذه الأنباء فارتطم بالفتن والاختلاف، وأعظم هذه الدعايات بلاء وأشدها فتكا هي ما بثّه الوفد الذي أرسله معاوية للإمام جيش الإمام (عليه السلام)، فإنه لما خرج منه أخذ يفتري عليه بأنه قد أجابهم إلى الصلح، وحينما سمعوا بذلك اندفعوا كالموج فنهبوا أمتعته، واعتدوا عليه، ولو كانت عند الزعماء والوجوه صبابة من الإنسانية والكرامة لقاموا بحماية الإمام (عليه السلام)، ورد الغوغاء عنه حتى يتبين لهم الأمر، ولكنهم أقاموا في ثكناتهم العسكرية و لم يقوموا بحمايته ونجدته.

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن العوامل التي أدت إلى تفكك الجيش والقضاء على أصالته، ومن البديهي أن القوى العسكرية قَلبُ الدولة ومصدرُ حمايتها، فإذا أصيبت بمثل هذه الزعازع والأخطار فهل يتمكن القائد الأعلى أن يحقق أهدافه أو يفتح باب

الحرب مع القوى المعادية له؟!

العامل الثاني: قوة العدو.

إن الذي دعا الإمام الحسن (عليه السلام) إلى المصالحة والمسالمة هو ما يتمتع به خصمه من القوى العسكرية وغيرها التي لا طاقة لجيش الإمام جيش الإمام (عليه السلام) على مناجَزتها، ولا قابلية له للوقوف أمامها، حتى استطاع معاوية أن يُناجِز جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) من قبل، لذلك أُرغم الإمام الحسن (عليه السلام) على الصلح، ونقدم عرضا لبعضها وهي:

● **طاعة الجيش:**

غَرَس معاوية حبَّه في قلوب جيشه، وهيمَن على مشاعرهم وعواطفهم، فقد عرف ميولهم واتجاههم فسايرهم حتى أحبهم وأحبوه وصاروا طوعَ إرادته، وقد اختمر في أذهانهم بسبب دعايته وتمويهه أنه الحجة من بعد الخلفاء، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) ليس له وارث شرعي غير بني أمية، فقد نقل المؤرخون أن أبا العباس السفاح لما فتح الشام أقبلت إليه طائفة من الزعماء والوجوه فحلفوا له أنهم ما علموا للرسول (صلى الله عليه وآله) قرابة، ولا أهل بيت يرثونه غير بني أمية حتى تولّى بنو العباس الخلافة.

ويعود السبب في ذلك إلى الروايات التي تعمّد وضعها الرواة المستأجَرون وأشاعوها في أوساط دمشق من أن معاوية هو وارث النبيّ (ﷺ)، وأقرب الناس إليه وقد أفاضوا عليه وعلى الشجرة الملعونة من أسرته النعوت الحسنة والأوصاف الشريفة، حتى جعلوهم في الرعيل الأول من المصلحين الأخيار، وأصبحت طاعتهم فرضا من فروض الدين، واعتقدوا فيه وفي بني أمية أكثر من ذلك، يقول الأستاذ (فان فلوتن): وكان السواد الأعظم يرى في حزب بني أمية حزب الدين والنظام، وقال: وكان معاوية في نظر الحزب الأموي خليفة الله كما كان ابنه يزيد إمام المسلمين، وعبد الملك إمام الإسلام وأمين الله[1]، وبلغ من ودّهم وطاعتهم له أنه كان يسلك بهم جميع المسالك البعيدة التي تتنافى مع الدين حتى استطاع أن يحقق بهم جميع ما يصبو إليه، ونظرا لمزيد طاعتهم له تمنى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يصارفه معاوية بأصحابه، فيعطيه واحدا منهم ويأخذ عشرة من جماعته الذين عرفوا بالشغب والتمرد.

---

[1] السيادة العربية: ص٧٠.

● **بساطة وسذاجة:**

وأتاح الزمن الخؤون إلى معاوية أن يسيطر على جيش كان مثالا للسذاجة والبساطة، فلم يعرف الأكثر منهم أي طرفيه أطول، وقد احتفظ التأريخ بصور كثيرة من بلادتهم، تدل على مدى خمولهم وعدم نباهتهم، فقد ذكر المؤرخون أن رجلا من أهل الكوفة قَدِم على بعير له إلى دمشق حال مُنصرفهم من صفين، فتعلق به رجل من أهل دمشق قائلا له: هذه ناقتي أخذت مني بصفين، وحدث بينهما نزاع حاد فرفعا أمرهما إلى معاوية وأقام الدمشقي بيّنة على دعواه تتألف من خمسين رجلا يشهدون أنها ناقته فقضى معاوية على الكوفي وأمره بتسليم البعير إليه فورا، فالتفت إليه العراقي متعجبا من هذا الحكم قائلا: أصلحك الله إنه جمل وليس بناقة، فقال له معاوية: حكم قد مضى، ولما انفضَّ الجمع أمر معاوية بإحضار العراقي فلما مَثُل عنده سأله عن ثمن البعير فأخبره به، فدفع إليه ضعفه وبرّ به وأحسن إليه، ثم قال له: أبلغ عليا أني أقابله بمائة ألف ما فيهم مَن يفرّق بين الناقة والجمل[1].

---

[1] مروج الذهب: ج٢ ص٣٣٢.

إن خمسين رجلا منهم لا يفرقون بين الناقة والجمل، وليس من شك أن الأكثرية الساحقة منهم لا يميزون بين الحق والباطل ولا يتدبرون الفرق بين المحسوسات، همج رعاع لا تفكير لهم ولا تدبر، وأدل دليل على غفلتهم قصة الصحابي العظيم عمار بن ياسر حينما نال الشهادة، فوقع الاختلاف فيما بينهم لقول النبي (ﷺ): **إن ابن سمية تقتله الفئة الباغية**، ولما رأى ابن العاص الخلاف قد دَبَّ فيهم قال لهم: إن الذي قتله من أخرجه، فصدّقوا قوله ورجعوا إلى طاعة معاوية، ومن الطبيعي أن الدولة إذا ظفرت بمثل هذا الجيش المطيع الغافل توصلت إلى غاياتها وتحقيق أهدافها.

وأبقى معاوية أهل الشام على غفلتهم يتخبطون في ديـــاجير الجهالة ويسرحون في ميادين الشقاء رازحين تحت نِير الاستعباد الأموي، قد وضع بينهم وبين الناس حجابا حديديا فلم يســـمح للغير أن يتصل بهم و لم يسمح لهم بالاتصال بالغير، لئلا تنضـــج أفكارهم ويقفون على الحقيقة، فيتبين لهم باطل معاوية وابتـــزازه للخلافة من أهلها.

● **اتفاق الكلمة:**

ذكرنا سابقا ما مُني به العراق من الاختلاف والتفكك بسبب الأحزاب التي كانت تعمل على زعزعة كيان الدولة الهاشمية

وتحطيم عروشها، وعلى العكس من ذلك كانت الشام، فإنها بجميع طبقاتها لم تُبْتَلَ بتلك الأحزاب، ولم تُصَبْ بالأفكار المعادية للحكم القائم، فقد كان السلام والوئام والهدوء مخيّما على دمشق وجميع ملحقاتها، ولم يكن في الجيش ولا في المملكة وكر للخوارج ولا دعاة لهم ولا لغيرهم ممن يعملون على قلب الحكم، وهذا الاتفاق الداخلي هو السبب في قوة معاوية واتساع نطاقه ونفوذه.

● **ضخامة القوى العسكرية:**

وانفق معاوية جميع جهوده المعنوية والمادية في إصلاح جيشه وتقويته، فإنه لما مُنيت الشام بخطر الروم بادر فعقد هدنة مؤقتة مع ملكها ودفع إليه أموالا خطيرة ولم يفتح معه باب الحرب لئلا يضعف جيشه، ومضافا إلى ذلك فإنه لم يستعمله في الفتوح والحروب، فلم يكن قد ولج به حربا غير صفين، فكان محتفظا بنشاطه وقوته.

وبالإضافة لجيشه الذي كان مقيما معه في دمشق فإنه لما عزم على حرب الإمام الحسن (عليه السلام) كتب إلى عماله وولاته في جميع الأقطار يطلب منهم النجدة والاستعداد الكامل لحرب ريحانة

رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وفي فترات قصيرة التحقت به قوى هائلة ضخمة فضمها إلى جيوش أهل الشام، وزحف إلى العراق بجيش جرار كامل العدد حسن الهيئة موفور القوة، مطيع لأمره فرأى الإمام الحسن (عليه السلام) أنه لا يتمكن على مقابلته ولا يستطيع أن يحاربه بجيشه المتخاذل الذي تسوده الخيانة والغدر.

● **حاشيته:**

ومضافا إلى ما كان يتمتع به معاوية من القوى العسكرية، فقد ظفر بقوة أخرى لها أثرها الفعال في تقوية جبهته وتوجيهه وتدبير شؤونه، وهي انضمام المحنكين والسياسيين إليه طمعا بماله ودنياه، وهم كالمغيرة بن شعبة الذي قيل في حيلته ودهائه: لو كان المغيرة في مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج منها إلا بالمكر والخداع لخرج المغيرة من أبوابها كلها، وقيل في عظيم مكره: كان المغيرة لا يقع في أمر إلا وجد له مخرجا، ولا يلتبس عليه أمران إلا أظهر الرأي في أحدهما.

ومن حاشيته عمرو بن العاص الذي كان قلعة من المكر والباطل، وقد قيل في وصفه: ما رأيت أغلب للرجال ولا أبذلهم حين يجتمعون من عمرو بن العاص، وهو في طليعة من رفع علم

الثورة على عثمان لأنه عزله عن منصبه، وكان يثير عليه حفائظ النفوس ويحفز القريب والبعيد لمناجزته وقال في ذلك: والله لألقى الراعي فأحرضه على عثمان فضلا عن الرؤساء والوجوه، ولما بلغه مقتله قال: أنا أبو عبد الله ما نكأت قرحة إلا أدميتها، وهو الذي خدع جيش الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) برفع المصاحف، فتركه مُمَزقَ الأوصال، مُختَلِفَ الأهواء.

لقد جذب معاوية هؤلاء الدُهاة الماكرين الذين يدسون السُّم بالعسل، ويُلبِسُون الباطلَ لِباسَ الحق، ولم يتحرجوا من الإثم والمنكر في سبيل نزعاتهم الشريرة، ولم يكن لهم هدف إلا القضاء على ذرية النبيّ (صلى الله عليه وآله) ومن يَمتُّ إليهم من صُلحاء المسلمين، ليتسنى لهم القضاء على الإسلام، حتى يُمعِنوا في التحلل حيثما شاءوا، وقد وقف الإمام الحسن (عليه السلام) معهم في صلحه أحزم موقف يتخذه المصلحون، فقد حفظ ذرية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحقن دماء المؤمنين من شيعته، لأن التضحية في ذلك الوقت لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعود بالصالح العام للمسلمين، لأنهم يضفون عليها أصباغا من التمويه والتظليل ما تفقد به معنوياتها وأصالتها.

- **ضخامة الأموال:**

وقد تيسر لمعاوية ثراء عريض مهَّدته له بلاد الشام طيلة ملكه لها، فإنه لم ينفقها في صالح المسلمين وإنما اشترى بها الضمائر والأديان، ليمهّد بذلك الطريق الموصل لفوزه بالإمرة والسلطان والتحكم في رقاب المسلمين.

لقد وجَّه معاوية جُباةَ السوء إلى أخذ الضرائب من الشعوب الإسلامية التي احتلها، وقد عمدوا إلى أخذ أموال المسلمين بغير حق، حتى بالغوا في إرهاقهم وإرغامهم على أدائها، كما فرض عليهم من الضرائب ما لا يقره الإسلام كهدايا النيروز وغيرها، وقد امتلأت خزائنه بها فأنفقها بسخاء على حرب ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والتغلب عليه، وقد رأى السبط الأكبر (عليه السلام) بعد هذه القوى التي ظفر بها ابن هند أنه لا يمكن مناجزته، ولا الانتصار عليه، وأن الموقف يقضي بالصلح والمسالمة لا بالحرب والمناجزة، فإنها تجرّ للأمة من المضاعفات السيئة ما لا يعلم خطورتها إلا الله.

العامل الثالث: اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام).

ومن العوامل التي دعت الإمام الحسن (عليه السلام) إلى الصُلح ما

رُوِّع به من اغتيال أبيه، فقد ترك ذلك حزنا مقيما وأسى شديدا في نفسه الشريفة، لأنه قد قُتل على غير مال احتجبه ولا سُنَّة في الإسلام غيَّرها، ولا حق اختص به دونهم، وكان يَحيىَ بينهم حياة الفقراء والضعفاء، ويتطلب لهم حياة حافلة بالنعم والخيرات، ويسعى جادا في إقامة العدل، وإماتة الجور، ونصرة المظلومين وإعالة الضعفاء والمحرومين، فعمدوا إلى اغتياله وتركوه صريعا في محرابه لم يحفظوا حرمته، ولا حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه، وقد رأى الإمام الحسن (عليه السلام) بعد ارتكابهم لهذه الجريمة النكراء أنه لا يمكن إصلاحهم، وإرجاعهم إلى طريق الحق والصواب، فتنكّر منهم، وزهد في ولايتهم، وقد أدلى (عليه السلام) بذلك بقوله: **وقد زهدني فيكم اغتيالكم أبي.** [1]

العامل الرابع: حقن الدماء.

ومن دواعي الصلح رغبة الإمام (عليه السلام) المُلِحَّة في حقن دماء المسلمين، وعدم إراقتها، ولو فتح باب الحرب مع معاوية لضحّى بشيعته وأهل بيته، فُيجتثَّ بذلك الإسلام من أصله، وقد صرَّح (عليه السلام) بذلك في جوابه عن دوافع صلحه فقال: **إني خشيت أن**

---

[1] حياة الإمام الحسن للشيخ باقر شريف القرشي: ج٢ ص١٣٢.

يُجتثَّ المسلمون من الأرض فأردت أن يكون للدين دا ع.[1]

وأجاب (عليه السلام) بعض الناقمين عليه من شيعته في الصلح فقال: **ما أردت بمصالحتي معاوية إلا أن أدفع عنكم القتل**[2]. وأعرب في خطابه الذي ألقاه في المدائن عن مدى اهتمامه بدماء المسلمين فقد جاء فيه: **أيُّها الناس إن الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية إنما هو حق أتركه لإصلاح أمر الأمة، وحقن دمائها**[3].

ومن حِيطته ورعايته لذلك أنه أوصى أخاه الحسين (عليه السلام) حينما وافاه الأجل المحتوم أن لا يُهرق في أمره ملء محجمة دما.

إن أحبَّ شيء للإمام (عليه السلام) الحفاظ على دماء المسلمين، ونشر الأمن والوئام فيما بينهم، وقد بذل في سبيل ذلك جميع جهوده ومساعيه.

العامل الخامس: مِنّة معاوية.

لقد علم الإمام (عليه السلام) أنه إن حارب معاوية فإن أجلاف جيشه وأوباشهم سوف يسلّمونه أسيرا إلى معاوية، وأغلب الظن

---

[1] حياة الإمام الحسن للشيخ باقر شريف القرشي: ج٢ ص٢٧٨.

[2] الدينوري: ص٣٠٣.

[3] أعيان الشيعة: ج٤ ص٤٢.

أنه لا يقتله، بل يُخلّي عنه، ويُسجِّل له بذلك مَكرمة وفضيلة، ويُسدي يدا بيضاء على عموم الهاشميين، ويغسل عنه العار الذي لحقه من أنه طليق وابن طليق، وقد صرح الإمام الحسن (عليه السلام) بهذه الخاطرة قائلا: **والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سِلما، والله لَئِن أُسالمه وأنا عزيز، أحبُّ إليَّ من أن يقتلني وأنا أسير أو يَمُنّ عليّ فتكون سُبّة على بني هاشم إلى آخر الدهر، ولَمعاوية لا يَزال يَمُنّ بها هو وعَقِبُه على الحَيّ منّا والميت**[1].

وهذا السبب له مكانته من التقدير فإن الإمام (عليه السلام) أراد أن لا يُسجَّل لخصمه أيَّ فضيلة ومكرمة.

العامل السادس: حوادث المدائن.

ومن جُملة الأسباب التي دعت الإمام إلى الصلح هي الحوادث القاسية التي لاقاها في المدائن، وخلاصتها:

- خيانة الزعماء والوجوه واتصالهم بمعاوية.
- الحكم عليه بالتكفير من قبل الخوارج.
- محاولة اغتياله.

---

(١) الاحتجاج: ج٢ ص١٠.

- نهب أمتعته.

العامل السابع: الحديث النبوي.

نظر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الحوادث الآتية من بعده فرآها بعينها وحقيقتها لا بصورها وأشكالها، رأى أمّته ستُخيم عليها الكوارث، وتُنصَبُّ عليها الفتن والخطوب، حتى تُشرِفَ على الهلاك والدمار، وإن إنقاذها مما هي فيه من الواقع المرير سيكون على يد سبطه الأكبر، وريحانته من الدنيا الإمام الحسن (عليه السلام) فأرسل كلمته الخالدة قائلا: **إن ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يُصلحَ به بين فئتَين من المسلمين عظيمتين**[1].

وانطبع هذا الحديث في أعماق الإمام الحسن (عليه السلام) وفي دخائل ذاته منذ نعومة أظفاره، وتَمثَّلَ أمامَه في ذلك الموقف الرهيب، وإنه ليطمئن إلى قول جده كما يطمئن إلى محكم التنزيل وها هو ذا جده العظيم يحدث بهذا الحديث، وكأن صوته الشريف يرنّ بعذوبته المحببة في أذنه، فينتشر من منبره، ويصل

---

[1] البحار: ج٤٧ ص٢٩٨، صحيح البخاري: ج٣ ص١٦٩.

لأصحابه، ويتكرر مضمونه ما لا يحصى كثرة: **إن ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يُصلحَ به بين فئتَين من المسلمين عظيمتين.**

وزادت هذه الذكرى تفاعلا شديدا في نفسه فقد رأى ما عناه جده (صلى الله عليه وآله) في المدائن رأي العين، من وجود طائفتين:

إحداهما: شيعته وهم من خيار المسلمين، وصلحائهم من الذين وقفوا على أهداف الإسلام، وعرفوا حقيقته وواقعه.

الثانية: أتباع معاوية من السُّذَّج والبسطاء والمنحرفين عن الإسلام، وهؤلاء وإن كانوا بغاة قد خرجوا على إمام زمانهم ولكنهم يدّعون الإسلام.

وهاتان الطائفتان إن دارت رحى الحرب فإنها ستطحن الكثير منهم وبذلك يتضعضع كيان الإسلام وتنهار قواه، وبعد ذلك مَنْ يصدّ عن المسلمين العدو الرابض الذي يراقب الأحداث ليثب عليهم؟ ومَنْ هو يا ترى حريص على رعاية الإسلام والحفاظ على المسلمين غير سبط النبي ووارثه؟! فآثر الصلح على ما فيه من قذى في العين، وشجا في الحلق.

وذهب بعض المؤرخين إلى أن الباعث لخلع الحسنِ (عليه السلام)

نفسَه عن الخلافة حديثُ النبي (ﷺ) في ذلك[1].

نظر الحسن (عليه السلام) إلى قول جده (ﷺ) فعلم أن الأمر لا بد أن ينتقل إلى معاوية، ومضافا لذلك فقد أخبره أبوه بذلك كما حدث عنه (عليه السلام) فقال: **قال لي أبي ذات يوم: كيف بك يا حسن إذا وُلّيَ هذا الأمر بنو أميّة؟ وأميرها الرحب البلعوم، الواسع الاعفجاج[2]، يأكل ولا يشبع، فيستولي على غَربها وشَرقها، تَدين له العباد، ويطول ملكه، ويَسُن البِدع والضَلال، ويُميت الحق وسنة رسول الله (ﷺ)، يقسم المال في أهل ولايته، ويمنعه عمن هو أحق به، ويُذَل في ملكه المؤمن، ويَقوى في سلطانه الفاسق، ويجعل المال بين أنصاره دِوَلا، ويتخذ عباد الله خِوَلا، وَيْدرُس في سلطانه الحق، ويظهر الباطل، ويَقْتُل من ناوأه على الحق...**[3]

إن النبي (ﷺ) والوصي (عليه السلام) قد استشفّا من حجاب الغيب ما تُمنى به الأمّة الإسلامية من المحن والبلاء بسبب تخاذلها

---

[1] أنباء نجباء الأبناء: ص٥٦، لشمس الدين الصقلي: المتوفى سنة٥٦٥ هـ.

[2] أي: واسع الكرش والأمعاء.

[3] الاحتجاج ج٢، ص ١٠ــ١١.

عن مناصرة الحق ومناجزة الباطل وإنها من جراء ذلك سيتولى أمرها الأدعياء من الطلقاء وأبنائهم فَيسُوموها سُوء العذاب، ويستأثرون بمال الله، ويتخذون المسلمين عبيدا لهم وخولا.

وكان معاوية يعلم بمصير الأمر إليه في زمان أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد صنع فذلكة استعلم بها منه عما يؤول إليه أمره، فبعث جماعة من أصحابه إلى الكوفة ليشيعوا أن معاوية قد مات، فبلغ ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتكرر حديث الناس حول هذه الإشاعة فقال (عليه السلام): **قد أكثرتم من نعي معاوية، والله ما مات، ولا يموتن حتى يملك ما تحت قدمي**[1]. ولما بلغه ذلك اعتقد به لعلمه أن الإمام (عليه السلام) هو باب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله) ومستودع سره، وأن قوله لا يتخلف عن الواقع ولا يُخطئ الحق.

ومهما يكن الأمر فإن الإمام الحسن (عليه السلام) بصلحه مع معاوية قد لَقَّبَه المسلمون بالمُصلح العظيم، وقد أفاض عليه هذا اللقب جَدُّه الرسول (صلى الله عليه وآله) من قبل.

العامل الثامن: إبراز حقيقة معاوية وواقع بني أمية.

كان معاوية قبل أن يستولي على زمام الحكم ملتزما بتعاليم

---

[1] مروج الذهب: ج٢ ص٢٩٥.

الإسلام ظاهرا، ويظهر الاهتمام بشؤون المسلمين، ولكن كان ذلك – من دون شك – رياءً منه ومكيدةً، من باب المشي رويدا لأخذ الصيد، فكان يُبطن الكفر والنفاق ويُضمر السوء والعداء للمسلمين، فأراد الإمام الحسن (عليه السلام) بصلحه أن يُبرز حقيقته، ويظهر للناس عاره، ويُعرّفَه للذين خدعهم بمظاهره من أنه أعدى عدو للإسلام، فأخلى له الميدان، وسلّم له الأمر، فإذا بكسرى العرب –كما يقولون – تتفجر سياسته الجهنمية بكل ما خالف كتاب الله، وسنّة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وإذا به يعمد إلى فصم عُرى الإسلام وإلى نسف طاقاته، وإلى الإجهاز على القوى الواعية فيه، فيصبّ عليها وابلا من العذاب الأليم، فيعدم وينكّل بمن شاء منها، ويرغم المسلمين على البراءة من عترة نبيهم (صلى الله عليه وآله)، وإعلان سبهم وانتقاصهم على الأعواد والمنابر وبذلك ظهرت خفايا نفسه، وفهم المسلمون جميعا حقيقة هذا الطاغية وما يبغيه من الغوائل لهم، ولو لم تكن للصلح من فائدة إلا إظهار ذلك لكفى بها.

هذه جملة من العوامل التي أدت بالإمام (عليه السلام) إلى السلم، وفيما نعلم أنها تلزم بالصلح وعدم فتح أبواب الحرب.

نقد هذه القراءة:

وما يمكن أن يلاحظ على هذه القراءة ثلاث ملاحظات أساسية وهي:

الأولى: أنها لا تميز بين سنوات الصلح العشر زمن حياة الإمام الحسن (عليه السلام)، التي كانت سنوات أمان وحركة نشيطة لشيعة علي (عليه السلام) في نشر أخبار سيرته المشرقة وأحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) فيه وفي أهل بيته (عليهم السلام)[1]، وسنوات المحنة بعد وفاته (عليه السلام)، وهي السنوات التي أعاد فيها معاوية إعلامه الكاذب ضد علي (عليه السلام) بأشد ما يكون، وفرض على الناس في كل مكان لَعْنَه، ومعاقبة المخالف، وكان أشد الناس ابتلاء أهل الكوفة لكثرة مَنْ

---

[1] كما سيظهر في القراءة الرابعة.

فيها من شيعة علي (عليه السلام)، وليس من شك في أن هذا التحليل — ونعني به التمييز بين السنوات العشر وغيرها – إذا تم فهو مقدم على باقي التحليلات التي أغفلت هذه النقطة، ومن تداعيات هذا الأمر عدم صحة بعض ما ذكر في تلك التحليلات من قبيل: أن الشروط لم يلتزم بها معاوية منذ اليوم الأول، أما الرواية التي تقول إن معاوية خطب في الكوفة في اليوم الأول من الصلح ونال من علي (عليه السلام) بمرأى ومسمع من الإمام الحسن (عليه السلام)، وأعلن عن ردِّه للشروط فهي رواية موضوعة في العهد العباسي لتشويه العمل العظيم الذي قام به الإمام الحسن (عليه السلام) نكاية بالحسنيين الثائرين من ولده على العباسيين، وفي تقديرنا أن قول معاوية – إن صحت الرواية – قد قاله بعد وفاة الحسن (عليه السلام) وبعد تعقُّبه شيعةَ علي (عليه السلام) سجنا ونفيا وقتلا.

الثانية: انطلقت القراءة الثالثة للصلح من فكرة مفادها: إن الموقف المطلوب أساسا هو الحرب، ولَمَّا لم يكن للحسن (عليه السلام) – كما تُصور لنا الروايات الموضوعة – جيش كفوء يعتمد عليه لإيقاف خصمه المتستَر بالإسلام اضطُرَّ إلى الصلح لفضحه، ثم جعلت الرؤية السائدة الاستفادة من درس صلح الحديبية هو

تأسي الحسن (عليه السلام) بجده النبي (صلى الله عليه وآله) حين أنكر عليه بعض الخاصة من أصحابه أمر الصلح، كما أنكر على الحسن صلح (ساباط) بعض الخاصة من أوليائه.

وفي تقديرنا أن الاستفادة كانت أعمق من ذلك: إذ أنَّ الموقف الذي أَسَّسه صلح الحديبية هو إفهام الناس أنَّ الحرب ليست هي القاعدة العامة لحل المشكلات والأزمات، بل قد يكون الموقف المطلوب الذي يفتح الطريق للهداية أو لحل الأزمة المستعصية هو الصلح والتنازل المحدود المشروط، وقد استهدف النبي (صلى الله عليه وآله) في صلح الحديبية هذا الموقف لتحقيق الأمان في الجزيرة العربية المقرون بفضح إعلام قريش التي كانت تدَّعي أنها تعمل على احترام البيت الحرام وزوّاره وأن محمداً (صلى الله عليه وآله) كان لا يحترم البيت الحرام وما يرتبط به من قوافل أهله التجارية، فقد تعرض لها في الطريق وأخافها، وقد كانت العرب في الجاهلية تحترمها وتحرسها احتراما للبيت الحرام.

مضافا إلى هذا المكسب فقد انطلقت الأخبار الصحيحة عن سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) تشقّ طريقها إلى الناس الذين اكتشفوا أنهم كانوا مخدوعين بالإعلام القرشي الكاذب، ومن هنا رأينا النبي

(ﷺ) يخرج في تظاهرة كبيرة هو وأصحابه مُحرمين يسوقون الهديَ لزيارة البيت وعرض النبي (ﷺ) على قريش الصلحَ فقبلت بعد تردد ورفض واشترطت أَنْ يرجع عامَه ذاك وقَبِل النبي (ﷺ) ذلك، وعرفت العرب أن قريشا هي التي تصدُّ عن البيت الحرام وليس محمدا (ﷺ)، فافتضح إعلامها الكاذب، واختلط المسلمون مع الناس ونقلوا إليهم صورا رائعة من سيرة النبي (ﷺ) الهادية، وبذلك تبدلت الصورة السيئة التي أشاعتها قريش المشركة عن النبي (ﷺ) ليحي من حيَّ عن بينة، واستجابت القبائل ودخلت الإسلام أفواجا ومن ثَم سَمّى القرآنُ الصلحَ مع ما يحفّه من التنازل بـــ (الفتح المبين).

والأمر نفسه تكرر مع (قريش الأبناء) بقيادة معاوية لما تخندقوا في الشام واستطاعوا أن يعبّئوا الشام بإعلام كاذب وإعطاء صورة سيئة عن علي (عليه السلام)، وكونه يطلب الملك بالحرب وسفك الدماء وأنه مفسد في دين محمد (ﷺ)، وغير ذلك من التهم الباطلة، ويجيء الصلح بشروط الحسن (عليه السلام) فاضحا لمعاوية وإعلامه وفاتحا الطريق لإمامة علي (عليه السلام) من الكوفيين وغيرهم يحدِّثون بها أهلَ الشام مدة عشر سنوات من الأمان، ومن ثم فإن صلح

الإمام الحسن (عليه السلام) لا تبعد عنه تسمية (الفتح المبين)، لما حققه من فضح معاوية وإعلامه الكاذب، وانتشار أخبار سيرة علي (عليه السلام) المشرقة، ومعرفة موقعه من الرسالة عبر حديث الغدير والثقلين والكساء وغيرها، التي لم يكن أهل الشام قد سمعوا بها آنذاك.

وهذا الفهم هو المناسب لقول الإمام الحسن (عليه السلام): **علة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة النبي (صلى الله عليه وآله) لقريش**، لان نتائج الصلح هنا هي نتائج الصلح هناك، توحدت العلة وتوحد الأثر.

الثالثة: وقع أصحاب هذه القراءة تحت ضغط الأخبار الموضوعة التي استهدفت تشويه أهل الكوفة كما استهدفت نظائرُها تشويه شخصية الإمام الحسن (عليه السلام)، وكان المناسب أن تُصنّف الأخبار بخصوص أهل الكوفة إلى مجموعتين، ثم ترجّح احدهما بالمرجحات العلمية المعروفة عند تعارض الأخبار.

وقد شخّصنا ثلاثة مرجحات للأخبار المادحة وإسقاط الأخبار القادحة وهي:

١- إن المصادر التي عرضت الأخبار المادحة ورواتها هي المصادر الشيعية ورواة الشيعة، أما المصادر التي عرضت الأخبار

الطاعنة فهي عامية ورواتها عامّيون عُرف الكثير منهم بمالأتهم لخلفاء الجَور من العباسيين.

٢- إن الأخبار الطاعنة تعارضها حقيقة الأمان في السنوات العشر الأولى من الصلح، إذ لم يروِّع شيعي واحد في هذه الفترة.

٣- إن العباسيين بعد قضائهم على ثورة الأخوين محمد وإبراهيم ولديّ عبد الله بن الحسن بن الحسن المثنى (رحمه الله) اتجهوا في إعلامهم العام وُجْهَة تسقيط الحسنيين بتشويه سيرة جدهم الحسن المجتبى (عليه السلام) فوضعوا أخبارا من قبيل: إنه باع الخلافة بدراهم من أجل شهواته، ووضعوا أخبارا أخرى تشوه سيرة الكوفيين، وإنهم تفرقوا عن الحسن (عليه السلام) وتفرقوا عن أبيه من قبل، ووضعوا على لسان الحسن (عليه السلام) أحاديث تؤكد ذلك.

القراءة الثالثة للصلح:

وذكرت طائفة من العلماء الأعلام صلح الإمام الحسن (عليه السلام) فعللته بالعصمة، وأن الإمام المعصوم لا يرتكب الخطأ ولا يفعل إلا ما فيه الخير والصلاح لجميع الأمّة ولعل الوجوه التي ذكرت في القراءة الثانية قد كشفت عن مناط هذا القول وأوضحت حسنه

وذلك للأسباب والعوامل التي أحاطت بالإمام حتى دعته إلى الصلح، وممن ذهب إلى ذلك الشريف المرتضى علم الهدى (رحمه الله) حيث يقول: إنه- يعني الإمام الحسن (عليه السلام) - قد ثبت أنه المعصوم المؤيد بالحجج الظاهرة، والأدلة القاهرة، فلا بد من التسليم لجميع أفعاله وإن كان فيها ما لا يعرف وجهه على التفصيل أو كان له ظاهر نفرت منه النفوس[1].

القراءة الرابعة للصلح:

وهي قراءة جديدة في معاهدة صلح الإمام الحسن (عليه السلام) وصاحب هذه الرؤية العلامة المحقق السيد سامي البدري (دام توفيقه) حيث يقول: إن قضية صلح الإمام الحسن (عليه السلام) مع معاوية تعد - كما تصورها لنا المصادر التاريخية الأولى - من أخطر القضايا وأشدها تشويشا في تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) من جهة، وفي تاريخ العراق الإسلامي المبكر من جهة أخرى، وذلك لأن القراءة الأولية للمصادر التاريخية الإسلامية حول الموضوع تفرض على القارئ أن يخرج بانطباعين سلبيين هما:

---

[1] تنزيه الأنبياء: ص٦٩.

الأول: الانطباع السلبي الشديد عن العراقيين الأوائل الذين عاصروا الأئمة عَلياً والحسن والحسين (عليهم السلام) في الكوفة خاصة، وهو الانطباع السائد لدى كل من درس الموضوع أو كتب فيه، وهو: كونهم متفرقين متخاذلين – طالما تمنّى عليٌ فراقهم، غير قادرين على النهوض بدولة مستقلة بهم نظير ما صنعه الشاميون مع معاوية، بل كان بعض العراقيين –كما في بعض الروايات – يفكّر بتسليم الحسن (عليه السلام) حيا إلى معاوية!!!، ولذلك اضطر الحسن (عليه السلام) إلى تسليم الأمر لمعاوية !! وهذا الانطباع يستوي فيه القارئ المسلم بغض النظر عن مذهبه.

الثاني : الانطباع السلبي عن شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) لدى القارئ الذي لا تربطه معه (عليه السلام) رابطة الاعتقاد بإمامته وعصمته، ولا رابطة الاعتقاد بوجوب محبته واحترامه، لأنه من أهل البيت (عليهم السلام)، كالمستشرقين الذين كادوا يجمعون على كون الإمام الحسن (عليه السلام) شخصية غير جديرة بأن تكون ابنا لعلي!!! وأنه باع الخلافة بدراهم من أجل شهواته !!!.

أمّا القارئ المؤمن بعصمة الإمام الحسن (عليه السلام) فلا يؤثّر عليه ذلك الركام الهائل من الروايات الطاعنة في شخصيته، لإيمانه

المسبق بأن الإمام الحسن (عليه السلام) منزّه عن ذلك، وأن تلك الروايات لا بدّ أن تكون موضوعة من قِبل أعدائه لتشويه صورته.

ولكننا خرجنا برؤية مخالفة للرؤية السائدة، مع كشف أسرار جديدة للصلح وأَلَقٍ كبيرٍ في شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) صاحب القضية التي نهض بها ونظّر لها، إذ تُبيّن الرؤية الجديدة أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد صالح عن قوة وليس عن ضعف، فهو أشبه بصلح الحديبية بل امتداد له في الهدف والأسلوب، وتوضيح ذلك: إن معاوية بعد أن بايعه أهل الشام بادر يطلب الصلح من الإمام الحسن (عليه السلام) الذي بايعه أهل العراق حاكما خَلَفًا لأبيه علي (عليه السلام)، وهو أن يبقى الإمام الحسن (عليه السلام) على البلاد التي بايعه أهلها وهو النصف الشرقي للبلاد الإسلامية، وأن يبقى معاوية على النصف الغربي من البلاد الإسلامية حيث بايعه أهلها على الحكم.

ومبررات هذا الصلح واضحة لدى معاوية فهو بين ضغط حلقات الخوارج الخفية من الداخل التي تستهدف اغتياله وضغط الروم على الحدود الشمالية الشرقية وجيشهم على أهبة الاستعداد لغزو الشام، ولم يكن معاوية ليجمّد شن الغارات على أطراف

علي (عليه السلام) دون مكسب سياسي يسجّله لصالحه، ومن هنا عرض الصلح على الحسن (عليه السلام) – وقد عبّأ جيشه للقتال مضافا إلى تعبئة أبيه علي (عليه السلام) – لكي يؤمّن جهته بالمصالحة ويتفرغ للمشكلتين الآنفتي الذكر، فكان الإمام الحسن (عليه السلام) أمامه أحد خيارين:

الأول: قبول أطروحة الصلح بالصيغة التي قدمها معاوية وهي أن يبقى الإمام الحسن (عليه السلام) على حكم النصف الشرقي للبلاد الإسلامية، وأن يبقى معاوية على حكم النصف الغربي من البلاد الإسلامية، وهو الذي كان يطمح إليه معاوية ويرغب فيه وقد عرضه على الإمام علي (عليه السلام) أيام حكمه.

الثاني: رفض الصلح واللجوء إلى الحرب، ولم يكن جيش الإمام الحسن (عليه السلام) قاصرا عن خوض معركة كالتي خاضها زمن الإمام علي (عليه السلام)، بل كان الجيش قد تعمقت بصيرته بالإمام علي (عليه السلام) واجتمعت كلمته عليه بعد حرب النهروان خاصة.

أعرض الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخيار الأول، لأنه يؤدي إلى تكريس الانشقاق في الأمة مع تكريس ثقافة العداء للإمام علي (عليه السلام) في الشام، إضافة إلى كونه مخالفة صريحة لرغبة أبيه أمير

المؤمنين (عليه السلام) في عدم إبقاء معاوية على ما هو عليه.

وأعرض عن الخيار الثاني لتقديره أن الحرب لم تَعُد- بَعدَ تعقيد الحالة- هي الأسلوب الصحيح للعلاج، مضافا إلى أن رفع شعار السلم يقتضي الاستجابة له.

وهكذا فاجأ الإمام الحسن (عليه السلام) خصمه معاوية بخيار جديد لم يَدُر في خَلَدِه، وهو أن يسلّم أمر العراق إلى معاوية لتكون الأمة موحدة بحاكم واحد هو معاوية، ولكن اشترط الإمام الحسن (عليه السلام) شروطا:

- أن يسير معاوية بالقرآن والسنة النبوية الصحيحة.
- وأن يتنازل عن سيرة الشيخين كمادة أساسية في الدستور.
- وأن يكون الأمر للإمام الحسن (عليه السلام) بعد موت معاوية.
- وإن حَدَثَ للإمام الحسن (عليه السلام) حَدَثٌ فالأمر للإمام الحسين(عليه السلام).
- وأن ليس لمعاوية أن يعهد إلى أحدٍ من بعده.

إلى آخر شروطه (عليه السلام)، ووضع وثيقة تنازله المؤقت عن السلطة بتلك الشروط.

لقد استمد الإمام الحسن (عليه السلام) روح هذه الأطروحة الذكية

من صلح الحديبية وحقق بها فتحا مبينا بكل معنى الكلمة.

ما هي نتائج هذا الفتح؟

وقد تمثل هذا الفتح المبين كما تصوره الرؤية الجديدة لصلح الإمام الحسن (عليه السلام) بما يلي من النتائج الإيجابية:

١- فضح معاوية أمام أهل الشام بأنه كان ظالما لعلي (عليه السلام) وأنه كان يقاتله من أجل الملك، وليس من أجل مبدأ أو الأخذ بثار دم عثمان كما كان يَزْعُم.

٢- اتضاح حقيقة الإمام علي وولده الإمام الحسن (عليهما السلام) بأنهما إماما هدى منصوص عليهما وليسا طلاب ملك.

٣- توحيد شِقّي البلاد الإسلامية واختلاط العراقيين مع الشاميين، الذين أخذوا ينظرون إليهم وإلى قائدهم الإمام الحسن (عليه السلام) نظرة محبة وإعجاب بهم وإكبار لهم، يستمعون إليهم، يروون لهم بتفاعل مدهش ثقافة الولاء للإمام علي (عليه السلام) التي تؤسسها أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرة الإمام علي (عليه السلام) المشرقة.

٤- إرجاع هيبة الأمة في قلوب أعدائها -الروم الشرقيين- على الجبهة الشمالية الشرقية.

٥- أخيرا تخليص الكوفة عاصمة مشروع النهضة الإحيائية للإمام علي (عليه السلام) ومركز رجالاتها من إرهاب داخلي كان على أبوابها، قام به الخوارج التكفيريون، وقد نفذوه أولاً بالإمام علي (عليه السلام)، ومن ثم انطلاقة الكوفيين لنشر أخبار هذه النهضة وموضوعها في أهل الشام.

وساد الأمان في الأمة كلها عشر سنوات بعد توقيع وثيقة الصلح وبرز الإمام الحسن (عليه السلام) مرجعاً دينياً إلهيا ومِن قَبله أبوه علي (عليه السلام) ومِن بعده أخوه الحسين (عليه السلام) نصّت عليهم الأحاديث النبوية، ليأخذ عنهم دين الله الذي جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً، وعرف الشاميون وغيرهم، من عبادته وعلمه وحسن خلقه وكرمه واهتمامه بقضاء حوائج الناس ما ذكّرهم بأبيه (عليه السلام) وبجده النبي (صلى الله عليه وآله).

ثم غدر معاوية بالإمام الحسن (عليه السلام)بعد عشر سنوات غدرا مبينا حين دس له السُّم، ونقض شروط الصلح ولاحق شيعة العراق بما هو معروف وواضح في كتب التاريخ.

سؤال مهم:

وهاهنا سؤال مهم ينقدح من خِضمّ ما تقدم من الدراسة السابقة، وهو: ما السر إذن في وجود هذا الكم الهائل من الروايات الموضوعة ضد الشيعة والعراقيين والكوفة؟

يُجيب العلامة المحقق السيد سامي البدري على ذلك بقوله: يأتي الجواب من دراستنا للغدر المبين الذي قام به معاوية خلال النصف الثاني من حكمه والذي استمر قرابة العشر سنوات، فقد رأيناه يقلب ظهر المجن للإمام علي (عليه السلام) باللعن والبراءة بعد الترحم عليه وذكره بخير، ويلاحق شيعته بالسجن والقتل والتهجير وبخاصة أهل الكوفة، واقترن ذلك بسياسة ثقافية منظمة لتربية النشئ الجديد في الدولة الإسلامية شرقا وغربا على لعن الإمام علي (عليه السلام)، قائمٍ على رؤية سلبية إزاءه مبنية على أحاديث نبوية، فمنعت من تداول أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) التي تدعو إلى محبته وموالاته وطاعته، وشجّعت الناس الذين يرغبون في الدنيا في وضع أحاديث مكذوبة على النبي (صلى الله عليه وآله) تدعو إلى معاداة الإمام علي (عليه السلام) والبراءة منه، وبذلك تكوّن ركام هائل من الأحاديث الموضوعة ضد الإمام علي وأهل بيته (عليهم السلام) تداولها الناس ثمانين سنة وصارت دينا يُدان به.

وحين ظهرت الدولة العباسية لم يسمح الوضع العام للدولة بتداول تلك الأحاديث لكون قيادتها هاشمية والإمام علي (عليه السلام) هو كبير بني هاشم بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وكونها تحركت أساسا تحت شعار مظلومية الإمام علي (عليه السلام) وولده الإمام الحسين (عليه السلام) شهيد كربلاء ولطلب الرضا لآل أبي طالب، فدثر أمرها تدريجيا ولم يبق منها إلا طرف من قبيل (إن عليا لا يصلي!!، إن عليا دخل حفرته وما قرأ القرآن!!، إن عليا سرق والنبي قطع يده!!، إن قول النبي يا علي أنت مني بمنزل هارون من موسى اشتباه من الرواة وإنما بمنزلة قارون من موسى....)

وقد تكررت التجربة الأموية هذه في الدولة العباسية وذلك حين رأى العباسيون أنفسهم يواجهون خصمين كبيرين يقفان عقبة أمام استمرار ملكهم وحفظ ولاء الأمة لهم، هذان الخصمان هما:

الخصم الأول: الحسنيون الثائرون الذين يملكون الشرعية في قبال بني العباس لأمرين:

١. كونهم ذرية المصلح الكبير الإمام الحسن (عليه السلام) صاحب الفتح المبين في إنقاذ الأمة من سفك الدماء بطريقة بارعة تكشف

عن جدارة خاصة بحكم الأمة ورعايتها.

٢. كون العباسيين قد أعطوا بيعة مسبقة لزعيم الحسنيين محمد بن عبد الله بن الحسن في مؤتمر عام لبني هاشم وقد انتشر خبر هذا المؤتمر والبيعة في المجتمع.

الخصم الثاني: مرجعية الإمام الصادق (عليه السلام) التي تقوم على فكرة إمامة علي وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) بوصية من النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذه المرجعية آخذة بالتوسع والنمو.

ولأن الكوفة قاعدة شعبية لكلا هذين الخصمين في ضوء ذلك فليس للعباسيين الحاكمين إلا أن يحذوا حذو الأمويين لضمان استمرار ملكهم بتحريف تاريخ خصومهم وهم الحسنيون، فقاموا بتحويل حسناتهم وامتيازاتهم إلى عار يلاحقهم أبد الدهر فبدؤوا يروّجون للترهات والأقاويل الكاذبة:

● بحق الإمام الحسن (عليه السلام) من قبيل افتراءات: هل هناك عار في تاريخ الحسنيين كعار أبيهم الحسن؟!!! تبايعه الأمة على الحكم ثم يبيعه إلى معاوية بدراهم يغدقها فيما بعد على النساء يتزوج واحدة ويطلق أخرى؟!!! وهل ذرية مثل هذا الإنسان جديرة بحكم الأمة ؟!!!.

● وبحق الكوفة من قبيل افتراءات: هل هناك عار مثل عار الكوفة؟!! تدعو الإمام الحسين (عليه السلام) بحق لنصرته ثم تخذله ثم تقتله ثم تحمل رأسه ورؤوس أصحابه هدية إلى يزيد؟!! ثم ترفقها بأسرة الإمام الحسين (عليه السلام) سبايا؟!! الأمر الذي يرقُّ له يزيد وتدمع له عيناه، ويلعن الكوفة وأميرها ابن مرجانه؟ ويقول إنه لو كان صاحبه -أي الحسين- ما صنع به هذا الصنيع!.

● وبحق الشيعة من قبيل افتراءات: وهل هناك عار مثل عار الشيعة الذين استجابوا ليهودي من اليمن أسلم على عهد عثمان ليتلقوا منه عقيدتهم بالإمامة ؟!! (في إشارة إلى الرجل الأسطورة عبد الله بن سبأ).

ثم عالجوا مرجعية الإمام الصادق (عليه السلام) بأمرين:

الأول: تبني مرجعية مالك بن أنس وفرضها على الناس، وتبني طلابه ليكونوا قضاة وخطباء.

الثاني: إشاعة الشك في مرويات الإمام الصادق (عليه السلام) بل تضعيفه:

كما روى ذلك بن سعد، قال: جعفر بن محمد كثير الحديث ويستضعف.

وكما قال يحيى بن سعيد القطان: مجالد أحبّ إليّ منه.

وقال عنه الذهبي: وهذه زلقة من ابن القطان.

مع ملاحقة أصحابه وسجن الخليفة من بعده الصادقَ (عليه السلام) ولده الكاظم (عليه السلام).

وفي ضوء ذلك فإن ظهور هذا الكم الهائل من الروايات الطاعنة في الإمام الحسن (عليه السلام) وفي الكوفة وفي الشيعة يكون طبيعيا وكما تفرضه طبيعة الأشياء ولا نحتاج معه إلى بحث أسانيد هذه الروايات الطاعنة مع وجود الروايات المادحة وذلك لأن هذا المبرر وحده كاف في إسقاطها جملة وتفصيلا.

الخاتمة

بعد هذا العرض المتقدم – نقدم فذلكة سريعة لما تم عرضه لنلم شتات ما قدمناه، فيكون أرسخ في الأذهان وأوضح للقارئ، فنقول:

إننا عرضنا أولاً نبذة من سيرة الإمام الحسن (عليه السلام) أبرزنا فيها نُتفاً من حُسْن شمائله وكرائم طباعه، وسلطنا الضوء فيها على تواضعه وكرمه وعبادته وسماحته وسخائه وغيرها مما يجده الباحث في فضائل أهل البيت (عليهم السلام)، وكيف لا وهو سليل النبوة والإمامة وربيب بيت الوحي ومَن عاش في كنف أعبد شخصين على وجه الأرض بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مَنْ ذاعت شهرة عبادتهما بما صار منارا للطالبين والسائرين في الطريق إلى الله تعالى.

ثم ذكرنا بعضاً من كراماته التي توضح مدى قربه من الله تعالى ووفور فضله، وهذان الأمران كان الغرض منهما تسليط الضوء على شخصية الإمام الحسن (عليه السلام) النجل الأكبر لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وبعد ذلك تعرضنا لحال المجتمع الكوفي بعد استشهاد أمير

المؤمنين (عليه السلام) وكيفية انتقال الخلافة للإمام الحسن (عليه السلام) وما صاحب ذلك من أحداث، وما هو مشروع الإمام الحسن (عليه السلام) الذي رامه من الخلافة.

ثم وصل الأمر إلى ما كان الكتاب موضوعاً لأجله وهو الصلح، فقد عرضنا معاهدة الصلح بشيء من التفصيل وبيّنا ما يمكن أن يكون الدوافع وراء إقدام معاوية على طلب الصلح.

وبعد ذلك عرضنا بشكل مفصل التحليلات المطروحة عند المفكرين لأسباب قبول الإمام الحسن (عليه السلام) للصلح وعرضنا أربعة قراءات في ذلك الأمر متسلسلة من الأبعد إلى الأقرب للقبول، بحسب المعطيات التأريخية، والمرجحات المنطقية التي توزن بها الأمور وتعالج بها الحوادث التاريخية، ويكون على أساسها ترجيح رأي على أخر وتقديم تحليل على غيره.

وبذلك نكون قد قدمنا للقارئ العزيز خلاصة الأبحاث الدائرة حول هذه القضية الحساسة في تأريخ الأمة الإسلامية، وأوصلناه إلى ما نعتقد أنه يليق بمكانة الإمام (عليه السلام) ودوره الذي من المفترض أن يلعبه في أمة جده رسول الله (صلى الله عليه وآله)، خصوصاً بعد أن نعرف أنه وأخيه الحسين (عليهما السلام) كليهما قد قال في حقهما

النبي الأكرم (ﷺ): الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، فلا بد أن يكون الحسن (عليه السلام) له من الدور ما يوازي الدور الذي قام به الحسين (عليه السلام) في الحفاظ على أمة جده (ﷺ) وشريعته من الضياع والانحراف.

الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
قبس من حياة الإمام الحسن بن علي (عليهما السلام)	٧
كنيته وألقابه	٧
مناقبه (عليه السلام)	٧
كراماته (عليه السلام)	٢١
بيعة المهاجرين والأنصار للإمام الحسن	٢٥
مشروع الإمام الحسن (عليه السلام) في خلافته	٢٨
معاهدة الصلح	٢٩
صورة المعاهدة التي وقعها الفريقان	٣١
دوافع معاوية إلى الصلح	٣٤
أسباب صلح الامام الحسن (عليه السلام)	٤١
القراءة الأولى للصلح	٤٢
القراءة الثانية للصلح	٤٨
العامل الأول: تفلل الجيش.	٤٨

الموضوع	رقم الصفحة
العامل الثاني: قوة العدو.	٥٨
العامل الثالث: اغتيال أمير المؤمنين (عليه السلام).	٦٥
العامل الرابع: حقن الدماء.	٦٦
العامل الخامس: مِنّة معاوية.	٦٧
العامل السادس: حوادث المدائن.	٦٨
العامل السابع: الحديث النبوي.	٦٩
العامل الثامن: إبراز حقيقة معاوية وواقع بني	٧٢
نقد هذه القراءة	٧٤
القراءة الثالثة للصلح	٧٩
القراءة الرابعة للصلح	٨٠
ما هي نتائج هذا الفتح	٨٤
سؤال مهم	٨٦
الخاتمة	٩١
الفهرس	٩٤

This document was created with Win2PDF available at http://www.win2pdf.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.
This page will not be added after purchasing Win2PDF.